

الردود السلفية على دعاة السلفية

الجزء الأول

بقلم

خالد بن حامد الأضم العسقلاني

الردود السلفية

عـلى

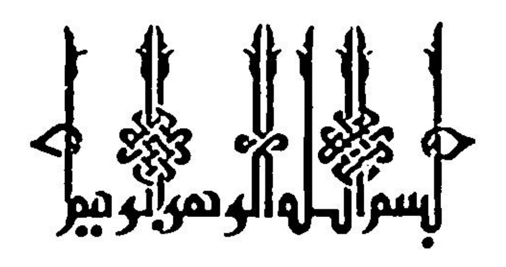
دعاة السلفية

الجزء الأول

بقلم

خالد بن حامد الأضم العسقلاني

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ إخوانه من الرسل والنبيين، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

إن الصحوة الإسلامية تشهد في هذا الوقت من الزمن نمواً مطَّرداً في كثيرٍ من البلاد العربية، وذلك يتمثل في دخول كثير من المسلمين في باب الالتزام الحقيقي في دين الله، ومن ثمَّ بروزها كقوة إسلامية تهدد كثيراً من أعدائها الظاهرين منهم والباطنين، وهذا أمراً طبيعياً، إذ سينتج حتماً عن انتشارها السريع في الأمة الاصطدام بالباطل المتمثل في أعدائها، فمن ثم لا بد من وضع العراقيل في طريقها كي يخفف من سرعة تقدمها، وأقول عراقيل لأن الدعوة الإسلامية لم ولن تستطيع أي قوة علىٰ وجه الأرض إزالتها، لأنها تتمثل بالعقيدة التي ألفتها القلوب وتقبلتها العقول، فلا يمكن إزالتها نهائياً لأنها ستظل عالقة في القلوب، ثم لا تلبث أن تتفاعل لتبرز من جديد فتوقظ النائمين وتنبه الغافلين، إذاً لا بد من إعاقتها، ولكن كيف السبيل إلىٰ ذلك..؟ لقد وضع أعداء الأمة أساليب كثيرة لإعاقة الدعوة فكانت تتفاوت في التأثير، وكان من أفضل تلك

الأساليب من حيث قوة تأثيرها هو ضرب أنصار الحركة الإسلامية بعضهم ببعض، فقد علم أعداء الأمة بأن إيقاع الخلاف بين الإسلاميين هو الأنجح والأكثر فاعلية في إعاقة مسيرة الدعوة، فكان لا بد من تأجيجها.. وقد كان!! فقد استمعت لمجموعة أشرطة لبعض المشايخ الأفاضل تدور حول بعض أهل العلم من الدعاة ينتقصون منهم ويتهمونهم بأمور هم براء منها، وقد هالني هذا الأمر وأزعجني كثيراً لأنني والحق يقال قد استمعت للعديد من محاضرات ودروس (هؤلاء الدعاة) المشهورين، فعلمت من خلالها أن (هؤلا الدعاة) علىٰ عقيدة صافية وعلم غزير، وفهم واعٍ وأحسبهم من العاملين المخلصين النشطين في مجال الدعوة الإسلامية.

والله حسيبهم ولا أزكيهم علىٰ الله، وعلمت أنه هدىٰ الله علىٰ أيديهم الكثير من شباب المسلمين، فأينعت الدعوة واشتد عودها وأصبحت نوراً دعوياً يشع في وسط الأمة، ودعوتهم دعوة سلفية بعقيدة صافية ومنهج حق، كيف لا وهم **تلامذة علمائنا الكبار**، ولكن هذا كله لم يعجب بعضهم فما كان منهم إلا أن قاموا بالتنقيص من قدر (هؤلاء الدعاة) المشهورين ولمزهم بما ليس فيهم، فعلمت أنه الحسد الذي يوغر الصدور، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فما علم هؤلاء كم أعاقوا الدعوة وفتنوا من شبابها، حتىٰ خرج بيان فضيلة العلامة عبدالعزيز بن باز حفظه الله[1] الذي وضع النقاط علىٰ الحروف، فأبان الحق من الباطل ووأد الفتنة

---

(١) وقد استغل بعض العلمانيين المنافقين البيان أسوء استغلال.

وأسكتها، فحمدت الله علىٰ ذلك وشكرته علىٰ توفيقه في الخروج من هذا البلاء بسلام، حتىٰ لا تعطىٰ الفرصة لأعداء الإسلام لإعاقة الدعوة، ولكن.. لم تنته المشكلة إلىٰ هذا الحد، فقد وقع في يدي «كتابين» لأحد الدعاة الأفاضل باسم **«فقه الواقع بين النظرية والتطبيق»** و**«رؤية واقعية في المناهج الدعوية»** فكان هذين الكتابين علىٰ نفس منوال أصحاب الأشرطة، ولكن بأسلوب أشد وبكلامٍ أقذع، فقد اتهمهم الكاتب هداه الله بالانحراف عن المنهج الحق ومجانبة الصراط المستقيم، ولم يكن هذا حسداً فحسب كما علمت سابقاً إذ شممت منه **رائحة العصبية الضيقة**، فقد تحدث الكاتب محذراً (من..؟) من أن هؤلاء الدعاة ما يريدون إلا أن يشكلوا تكتلاً حزبياً يخشىٰ منه أن يأخذ البساط من أيدي هؤلاء، وقد توهم الكاتب هداه الله هذا الزعم لأمر في نفس يعقوب!!، فرأيت أن هذه حملة منظمة من **الكاتب وشيعته** للنيل من (هؤلاء الدعاة) بحجة حماية المنهج، ولم يعلموا أنهم بذلك خالفوا الطريق والمنهج، فكان لزاماً عليَّ أن أجند قلمي للدفاع عن الدعوة والدعاة، بعد ما تبين لي ما سيوجده هذان الكتابان من فرقة وفتنة، وليعلم القارىء أنني لا أدافع عن أحد بل أدافع عن الحق وحده فإنني لست من هؤلاء ولا من أولئك بل إنني مع الحق وإلىٰ الحق وتوحيداً للكلمة وحفاظاً علىٰ سمعة إخواننا الدعاة والحمد لله أولاً وأخيراً.

١ ـ الحاكمية

تحدث الكاتب حفظه الله مبتدئاً كلامه عن أصول العقيدة مبيناً أنه ثمة افتراقاً بين المنهج الحق وبين مناهج (هؤلاء الدعاة) والتي يسميها حادثة والتي تدور حول توحيد **الألوهية والحاكمية** حيث يقول: «فبعض هؤلاء الدعاة يفرق بين توحيد الألوهية والحاكمية وهذه الأخيرة كلمة أول ما نقلت في هذا العصر ضمن كتابات أبي الأعلىٰ المودودي وسيد قطب ومن ثم أخيه محمد قطب ومن جاراهم»[٢] **هكذا!!** ثم يقول عن اصطلاح (الحاكمية) «أنه اصطلاح حادثٌ لا ثمرة من ورائه ولا فائدة تجنىٰ منه إلا تضخيم مسائل علىٰ حساب أخرىٰ وأن الحاكمية التي عندهم هي معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿إن الحكم إلا لله﴾ هي في الحقيقة جزءٌ مما يدل عليه شمول «توحيد الألوهية» بعمومه ودلالاته كما هو ظاهر فهو تحصيل حاصل كما يقولون»[٣] هكذا!؟

ثم يبين حقيقة توحيد الألوهية حين يقول: «إذ توحيدَ الأِلوهية هو الجانب الأهم من دعوات الرسل الذي عرضه علينا القرآن. .»[٤] ثم

---

(٢) رؤية واقعية في المناهج الدعوية (ص١٣).

(٣) المصدر السابق (ص١٣).

(٤) المصدر السابق (ص١٤).

يسترسل فيقول: «وهذا التفريق بين توحيد الألوهية والحاكمية جعل الأولويات عند أصحابه متضاربة كما قال المودودي: «غاية الدين الحقيقية إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة».. وهذا كلامٌ لا سند له لأن غاية الدين الحقيقة والغاية من خلق الجن والإنس، والغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب هي عبادة الله وإخلاص الدين له»[٥]!! ثم ينتهي إلىٰ النتيجة التي يريدها حتماً حين قال: «وهذا هو مكمن الخلاف بين الدعوة السلفية وغيرها من الدعوات التي تتبنىٰ العقيدة وتخالف في المنهج»[٦]!؟

وقبل أن نبين من هو المخالف في المنهج أو نخوض في الموضوع لا بد من الوقوف عند بعض كلام المؤلف: فأولاً:

يقول الكاتب عن اصطلاح الحاكمية أنه اصطلاح حادث لا ثمرة من ورائه.. إلىٰ آخر كلامه، وعلىٰ هذا نقول إذا كانت (الحاكمية) **اصطلاحٌ حادث.**

فيعني هذا بالضرورة أن كثير من الكلمات ومن ضمنها «**السلفية**» أو «**الوهابية**» حادثة اصطلاحاً إذ لا فرق بين هذه وتلك لأنها جديدةٌ من حيث الاصطلاح، ولعل أحد يقول ولكن كلمة «السلفية» مأخوذة من السلف الصالح و«الوهابية» نسبة إلىٰ دعوة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فنقول وكذا «الحاكمية» فإنها مأخوذة من قوله: ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾[٧]

---

(٥) رؤية واقعية في المناهج الدعوية (ص١٤).

(٦) المصدر السابق (ص١٥).

(٧) باعتراف الكاتب.

فليست هي كلمة مبتدعة ولا من المناهي اللفظية، ثم إنه لا يحق لأحد أن يناقش الناس فيما يختارونه من الكلمات بحجة أنها مصطلحات حادثة فهذا تسويد للورقِ فيما لا ينبغي!

ثانياً: يبدو أن الكاتب وفقه الله لم يفهم المعنىٰ الذي طرحه «هؤلاء الدعاة» عن العبودية، ويبدو لي أيضاً أن الكاتب لم يتمعن جيداً في القضية التي طرحها وأوقع نفسه فيها وخاضها دونما دراية، بل تراه يلج فيها متحذراً ويمر عليها سريعاً دونما الدخول في تفاصيلها ولذلك لا تتضح للقارىء، وللتدليل علىٰ كلامي أقول وبالله التوفيق:

إن أصحاب المناهج الدعوية الحادثة لم يفرقوا بتاتاً بين توحيد الألوهية والحاكمية ولكن الأمر اختلط علىٰ **أصحاب العقول!!**

بل إنهم بينوا أن توحيد الألوهية يدخل في إطارها معنىٰ الحاكمية، أي الحكم بما أنزل الله فهذه وهذه من مقتضيات لا إله إلا الله، فلم تكن الأولويات متضاربة كما توهم الكاتب، **لأن غاية الدين الحقيقية هي إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة وعبادة الله وإخلاص الدين له فالقضيتان متلازمتان ولا تفريق بينهما**، إذ لا تتحقق العبودية لله سبحانه من دون أن يكون حكم الله في الأرض، ولكن المؤلف لم يفهم من غاية الدين «الحقيقية» والغاية من بعثة الرسل إلا عبادة الله وإخلاص الدين له، وهنا سؤال يطرح نفسه، كيف تكون العبودية لله سبحانه؟ وما هي العبادة؟

فالعبادة: «هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

الظاهرة والباطنة» وعلىٰ هذا المعنىٰ فإن العبودية: هي أن نفرد الله بالألوهية في كل شيء وأن ننقاد ونسلم له سبحانه وتعالىٰ، وأن نعتقد هذا في قلوبنا، وتصدقه جوارحنا، وأن ننقاد ونتحاكم إلىٰ شريعته في كل صغيرة وكبيرة وفي كل مناحي الحياة وإلا فلا نكون مؤمنين ولا يكمل إيماننا إلا بذلك، أي أن نتحاكم إلىٰ شريعة الله سبحانه في كل شيء، وكل من يزعم الإيمان بالله ويعرض عن شريعته اعتقاداً أو عملاً فهو كاذبٌ في إيمانه لقوله تعالىٰ: **﴿ألم تر إلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾**[8].

فلا إيمان لمن لم يرض بالتحاكم إلىٰ شريعة الله **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[9].

وإذا كانت القضية إيماناً فحسب دون التحاكم لشرع الله لما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة مع إقرارهم بالشهادة وأدائهم للصلاة ولا أجمع الصحابة علىٰ قتالهم، بل لأنهم استيقنوا أن هذا هو حكم الله سبحانه وأن هؤلاء خالفوا حكمه فوجب قتالهم. يقول الله سبحانه: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولىٰ فريقٌ منهم من بعد ذلك وما أولٰئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم**

---

(٨) سورة النساء (٦٠).

(٩) سورة النساء (٦٥).

إذا فريق منهم معرضون﴾[10] فالقضية ليست عبادةً وقول لا إله إلا الله وفقط بل العبودية هي أن تكون حياة الإنسان قائمة علىٰ شرع الله تحليلاً وتحريماً، قولاً وعملاً. ودخل عدي بن حاتم علىٰ الرسول ﷺ وهو يقرأ: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ فقال يا رسول الله ما عبدوهم فقال عليه الصلاة والسلام: «ألم يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»[11]! فبين النبي ﷺ أن إتباعهم في تشريع ما لم يشرع الله يكون عبادة لهم ويقول الآلوسي في تفسيره: الأكثرون من المفسرين قالوا: «ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا أنهم آلهة العالم بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم»![12] وهنا يبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الغاية من إرسال الرسل حين يقول: «وحقيقة الشريعة: إتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم، كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل، وطاعة الرسل هي دين الله الذي أمر بالقتال عليه، وقال: ﴿وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ فإنه قد قال: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»، والطاعة له دين له وقال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصىٰ الله ومن عصىٰ أميري فقد عصاني والأمراء والعلماء لهم مواضع تجب طاعتهم فيها وعليهم هم أيضاً أن يطيعوا الله والرسول فيما يؤمرون» فعلىٰ كل من الرعاة والرعية والرؤوس والمرؤوسين أن يطيع

---

(١٠) سورة النور (٤٨).

(١١) رواه الترمذي وهو في صحيح الترمذي برقم (٢٤٧١).

(١٢) في ظلال القرآن. سيد قطب، المجلد الثالث الجزء العاشر صفحة ١٦٤٢.

كل منهم الله ورسوله في حاله «**ويلتزم شريعة الله التي شرعها له**»[13] فمخالفة شرع الله ورده هو نقض لـ(**لا إله إلا الله**) يقول **شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**: «.. فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا إدعاء الإسلام لما ظهر منهم **مخالفة الشريعة**»[14]!!

فالعبودية والتشريع حق لله وحده يقول سبحانه: ﴿**إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه**﴾[15] ويقول: ﴿**ولا يشرك في حكمه أحداً**﴾[16] فـ«**عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت**»[17]، ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «إذا خرج ولاة الأمر عن هذا فقد حكموا بغير ما أنزل الله ووقع بأسهم بينهم» قال النبي ﷺ: «**ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم**» وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه فإن الله يقول: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌّ عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾.

---

(١٣) مجموع الفتاوىٰ ـ ابن تيمية ص (٣٠٩ ـ ٣١٠) ج ١٩.

(١٤) الجامع الفريد ص٢٣٣، وانظر حول تطبيق الشريعة لمحمد قطب ص١٩.

(١٥) سورة يوسف (٤٠).

(١٦) سورة الكهف (٢٦).

(١٧) كتاب التوحيد تأليف محمد عبدالوهاب مراجعة أحمد شاكر (ص ـ ٦).

فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم»[18] «ومن نظر في حال المسلمين مهتدياً بما قرره شيخ الإسلام هنا علم أن ما ابتلي به المسلمون اليوم من ضعف وذلة واختلاف وهزائم سببه البعد عن دين الله وتحكيم غير شرع الله، وأن أول خطوة علىٰ طريق النصر تكون بالعودة إلىٰ الله وتحكيم شرعه»[19]!!، ويقول الرسول ﷺ: «لتنقضن عرىٰ هذا الدين عروة عروة، كلما نقضت عروة تمسك الناس بالتي بعدها، فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن نقضاً الصلاة»[20] وهنا يقرر الحديث أن الحكم إذا انتقضت عروته فإن كل عرىٰ الإسلام ستنقض الواحدة تلو الأخرىٰ وآخرها الصلاة وهذا الواقع أمامنا يصدِّق هذا الحديث، ومن هنا نعلم أن الشريعة هي التي من خلالها تتحقق العبودية «الحقة لله» وتقام من خلالها جميع أنواع العبادة وتقام الصلاة والزكاة فتكون السياج الواقي من الكفار، وإلا فبالله كيف سنجعل الناس يخضعون لدين الله وسلطانه.. كيف سنستطيع أن نربي الجيل المسلم علىٰ العقيدة الحقة والدين الخالص لله.. كيف سنحمي المسلم من الحرام ونحلُّ له الحلال ونجعل هذا واقعاً في دنيا الواقع.. إلا بشريعة الله سبحانه وليس كما هو حالنا الآن نبني العقيدة في نفوس أبنائنا في المسجد أو في البيت والمنافقون يستخدمون

---

(١٨) مجموع الفتاوىٰ ج ٣٥ ص (٣٨٨).
(١٩) الشريعة الإلهية لا قوانين الجاهلية ـ عمر الأشقر (ص ـ ١٧١).
(٢٠) رواه أحمد في مسنده.

عشرات الطرق لهدمها من نفوس أبنائنا[21] ولهذا عمد أعداء الأمة إلىٰ إقصاء الشريعة عن الحكم لأنهم يعلمون أنه بإقصائها عن الحكم إقصائها من نفوس الناس وهكذا تنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة حتىٰ تذهب (الصلاة) من حياة الناس، «إن أعداءنا كانوا يريدون أن تعمل حركة التنصير في العالم الإسلامي وهي مطمئنة، لتفتن من تستطيع فتنته عن دينه، ولن تجد هذه الحركة مجالاً لو بقيت الشريعة قائمة، ونُفِّذَ حد الردة علىٰ المتنصر الذي يرتد عن الإسلام»[22] و«كانوا يريدون أن تشيع الفاحشة في المجتمع الإسلامي لتنحل أخلاقه ويسلس قياده للمستعمر، ولم يكونوا ليستطيعوا ـ والشريعة قائمة أن يفتحوا بيوتاً رسمية للبغاء تحميها الدولة المسلمة! بتشريعاتها وتنظيماتها وشرطتها! ولا أن يفتحوا الحانات لتسقي الناس الخمر علانية باسم «المشروبات الروحية»! ولا أن يفتحوا المراقص للساقطات اللواتي أطلق عليهن فيما بعد لقب الفنانات!! لتلهية الناس عن صلاتهم وصيامهم، ودنياهم وآخرتهم باسم الفن والحضارة والتقدم»[23] وكانوا يعلمون أن الله استخلف هذه الأمة لتحقق العبودية

---

(٢١) ولا يعني هذا الكلام أن نثبط العزائم وندعو إلىٰ عدم تربية المسلمين علىٰ العقيدة الإسلامية وأن ننتظر تطبيق الشريعة! بل علينا تربية المسلمين التربية الإسلامية الصحيحة وأيضاً المطالبة بتطبيق الشريعة وأن نحذر الحكام من طغيانهم علىٰ حق الله وإلا فلماذا يقول الرسول ﷺ: **«أفضل الجهاد كلمة حق أو عدل عند إمام جائر»** السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٩١) الجزء الأول.

(٢٢) حول تطبيق الشريعة ـ محمد قطب (ص ـ ٢٥).

(٢٣) المصدر السابق (ص ـ ٢٥).

يقول الإمام سيد قطب رحمه الله في معنىٰ العبودية: «فالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن لا إله إلا الله تتمثل في الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا الكون المتصرف فيه.. وأن الله وحده هو الذي يتقدم إليه العباد بالشعائر التعبدية ونشاط الحياة كله وأن الله وحده هو الذي يتلقىٰ منه العباد الشرائع ويخضعون لحكمه في شأن حياتهم كله..»[٢٦] فهذا المفهوم لمعنىٰ العبودية هو المفهوم الصحيح والذي وضحناه سابقاً «فالعبادة هي العبودية وهي الاتباع والطاعة مع إفراد الله سبحانه بهذه الخصائص كلها، لأنها من مقتضيات الاعتراف بالألوهية»

فلا «ينحسر معنىٰ (العبادة) في الجاهلية حتىٰ يقتصر علىٰ مجرد تقديم الشعائر، ويحسب الناس أنهم متىٰ قدموا الشعائر لله وحده فقد عبدوا الله وحده بينما كلمة العبادة ابتداءاً مشتقةٌ من عبد. و(عبد) تفيد إبتداء «دان وخضع» وما الشعائر إلا مظهر واحد من مظاهر الدينونة والخضوع لا يستغرق كل حقيقة الدينونة ولا كل مظاهرها.. إنما هي انحسار معنىٰ الألوهية علىٰ هذا النحو، ومعنىٰ العبادة هذا الانحسار الذي يؤدي بالناس إلىٰ الشرك وهم يحسبون أنهم في دين الله.. فينما أربابهم غير الله لأن ربهم هو الذي يحكمهم بسلطانه وشريعته وهو الذي يدينون له ويخضعون لأمره ونهيه ويتبعون ما يشرعه لهم!»[٢٧] «ولأن الله وحده الإلٰه، وهو وحده

---

(٢٦) في ظلال القرآن، الجزء (٧) ص(١١٠٦) سورة الأنعام.
(٢٧) المصدر السابق، الجزء (١١) ص(١٧٦٣ ـ ١٧٦٤).

الخالق، وهو وحده المالك، وهو وحده الذي يشرع، هو وحده الذي يحلل ويحرم، وهو وحده الذي يطاع فيما يشرع وفيما يحرم أو يحلل كما أنه هو وحده الذي يُعبد، وهو وحده الذي يتوجه إليه العباد بالشعائر»[28].

ولذلك يقرر سيد قطب رحمه الله أنه لا فرق ولا افتراق بين توحيد الألوهية والحاكمية حيث يقول: «.. ومن هنا ندرك لماذا كانت مواجهة الجاهلية واحدة لدعوة الرسل الكرام!.. إنها مواجهة الدفاع عن النفس في وجه الاجتياح، ومواجهة الدفاع عن **الحاكمية المغتصبة وهي من خصائص الألوهية**..»[29] ويقول «والملوك والرؤساء والحكام الذين يغتصبون أخص خصائص الألوهية ـ وهي الربوبية والقوامة والسلطان **والحاكمية** فيعبدون الناس لربوبيتهم الزائفة المغتصبة»[30] ومما سبق يتقرر لدينا أن «**أخص خصائص الألوهية هي الحاكمية**»[31] وهذا هو الذي فهمه أيضاً **محمد قطب** من أن توحيد الألوهية والحاكمية أمران متلازمان حين قال: «الإخلاص الذي هو الشرط لكي تصح العبادة وتصبح مقبولة عند الله تشتمل علىٰ أمور ثلاثة، بينها الله في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ الاعتقاد الراسخ بأن الله واحد متفرد في ذاته وأسمائه وأفعاله لا شريك له في شيء من ذلك، والتوجه بالعبادة إليه وحده دون شريك والتحاكم إلىٰ شريعته دون غيرها من الشرائع **والثلاثة كلها هي المقتضىٰ المباشر للا إله إلا الله**،

(٢٨) المصدر السابق، الجزء (٦) ص(٨٢٦).

(٢٩) المصدر السابق، الجزء (١٣) ص(٢١٠١).

(٣٠) المصدر السابق، الجزء (١٢) ص(١٨٥٢).

(٣١) المصدر السابق، الجزء (٦) ص(٨٩٠). دار الشروق.

ونقض أي واحد منها هو نقض «للإخلاص» الذي لا تقبل بدونه عبادة، ولا يعتبر أحدٌ بدونه مؤمناً، وإن صلىٰ وصام وزعم أنه مسلم!»[٣٢] فحقيقة التوحيد إذن «عبادة الله وحده بلا شريك وإقامة الحياة كلها بمقتضىٰ المنهج الرباني، بما في ذلك تطبيق شريعة الله، ونبذ كل الآلهة المزعومة التي تقف في طريق التوحيد الخالص»[٣٣] فهذا تعريف العبودية لله في نظر سيد قطب ومحمد قطب ومن جاراهم!!

ويتضح مما سبق من كلام الله ورسوله وعلماء الإسلام أن العبودية لله ليست محصورة بكلمة تقال أو عبادة تقام فقط، بل تقتضي التحاكم لشرع الله والخضوع له في كل مناحي الحياة وهذا هو **المقتضىٰ الصحيح لـ(لا إله إلا الله)** وفي موضوعنا هذا كلامٌ قيمٌ ونفيسٌ **لسماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز** حفظه الله يقرر فيه ما قررناه من معنىٰ العبودية وأرجو أن يقارن القارىء بين كلام **الشيخ بن باز وأصحاب الدعوات المُحْدَثَة** ويقرر إن كانت مفترقة أم لا، يقول: «لقد خلق الله الجن والإنس لعبادته، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ وقال: ﴿**وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾، وقال: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً**﴾ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ علىٰ حمار فقال: «**يا معاذ أتدري ما حق الله علىٰ العباد وما حق العباد علىٰ الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم قال:

---

(٣٢) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ـ محمد قطب (ص ـ ١٢٣).

(٣٣) حول تطبيق الشريعة ـ محمد قطب (ص ـ ١٣٤).

حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد علىٰ الله أن لايعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: **لا تبشرهم فَيَتَّكِلوا**»[٣٤] وقد فسر العلماء ـ رحمهم الله ـ العبادة بمعان متقاربة من أجمعها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»، وهذا يدل علىٰ أن العبادة تقتضي الانقياد التام لله تعالىٰ أمراً ونهياً واعتقاداً وقولاً وعملاً، **وأن تكون حياة المرء قائمة علىٰ شريعة الله**، يحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم، ويخضع في سلوكه وأعماله وتصرفاته كلها **لشرع الله**!! متجرداً من حظوظ نفسه ونوازع هواه، ليستوي في هذا الفرد والجماعة والرجل والمرأة، فلا يكون عابداً لله من خضع لربه في بعض جوانب حياته، وخضع للمخلوقين في جوانب أخرىٰ»[٣٥]! «**فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله ورضي حكمه في القليل والكثير وتحاكم إلىٰ شريعته وحدها** في كل شأن من شؤونه في الأنفس والأموال والأعراض وإلا كان عابداً لغيرة كما قال تعالىٰ: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾. فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلىٰ وحيه، فهو العابد له، **ومن خضع لغيره وتحاكم إلىٰ غير شرعه، فقد عبد الطاغوت وانقاد له**»[٣٦] «والعبودية لله وحده والبراءة من عبادة الطاغوت

---

(٣٤) رواه البخاري ومسلم.

(٣٥) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه (ص ـ ٢٨).

(٣٦) المصدر السابق (ص ـ ٢٩) وقارن بما يقوله أصحاب الدعوات الحادثة!

والتحاكم إليه من مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ، فالله سبحانه هو رب الناس وإلٰههم وهو الذي خلقهم وهو الذي يأمرهم وينهاهم ويحييهم ويميتهم ويحاسبهم ويجازيهم وهو المستحق للعبادة دون كل ما سواه قال تعالىٰ : ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ . فكما أنه الخالق وحده فهو الآمر سبحانه والواجب طاعته أمره»[٣٧] و«إذا علم أن التحاكم إلىٰ شرع الله من مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله فإن التحاكم إلىٰ الطواغيت والرؤساء، والعرَّافين ونحوهم **ينافي الإيمان بالله عز وجل وهو كفر وظلم وفسق**»[٣٨] .

«ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله وأنه مقتضىٰ **العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد** ﷺ»[٣٩] ! !

ولهذا يجب أن نعلم أنه «**لا إيمان** لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خيرٌ من حكم الله ورسوله، أو تماثلها وتشابهها، أو تركها وأحل محلها **(الأحكام الوضعية)** والأنظمة البشرية، وإن كان معتقداً أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل . . »[٤٠] ! !

فما أعظم من الضنك الذي عاقب الله به من عصاه ولم يستجب لأوامره !

---

(٣٧) المصدر السابق (ص ـ ٣٠) وقارن بما يقوله أصحاب الدعوات الحادثة !
(٣٨) المصدر السابق (ص ـ ٣٢) .
(٣٩) المصدر السابق (ص ـ ٣٩) .
(٤٠) المصدر السابق (ص ـ ٤٠) .

فاستبدل أحكام الله رب العالمين بأحكام المخلوق الضعيف. . ألم يعلم هؤلاء أنهم خسروا الدنيا والآخرة!! فلم يحصلوا الفلاح والسعادة في الدنيا ولم يسلموا من عقاب الله وعذابه يوم القيامة[41]!؟. . أسأل الله أن يجعل كلمتي هذه مذكرة للقوم ومنبهة لهم للتفكر في أحوالهم، والنظر فيما فعلوه بأنفسهم وشعوبهم، فيعودوا إلىٰ رشدهم، ويلزموا كتاب الله وسنة رسوله، ليكونوا من أمة محمد ﷺ، حقًّا، وليرفع ذكرهم بين شعوب الأرض[42]، كما ارتفع به ذكر السلف الصالح والقرون المفضلة من هذه الأمة، حتىٰ ملكوا الأرض، وسادوا الدنيا، ودانت لهم العباد، كل ذلك بنصر الله الذي ينصر عباده المؤمنين الذين استجابوا له ولرسوله ألا ليتهم يعلمون!! أي كنز أضاعوا؟!! وأي جرم ارتكبوا؟!! وما جروه علىٰ أممهم من البلاء والمصائب!! قال الله تعالىٰ: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾، وجاء في الحديث عنه ﷺ: «أن القرآن يرفع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان حين يزهد فيه أهله ويعرضون عنه تلاوةً (وتحكيماً)» فالحذر الحذر أن يصاب المسلمون بهذه المصيبة!! أو تصاب بها أجيالهم المقبلة!! بسبب صنيعهم فإنا لله وإنا إليه راجعون»[43].

ومما سبق يتضح لكل ذي عينين أن العبودية لا تتحقق إلا بتحكيم

---

(٤١) فكيف إذن لا نطالب بتحكيم شرع الله حتىٰ يحصل لنا الفلاح والسعادة في الدنيا. . وكيف سنحقق العبودية لله التي من أجلها خلق الجن والإنس وبعث الرسل وأنزل الكتب؟؟!

(٤٢) ولن يكون إلا بتحكيم شرع الله.

(٤٣) وجوب تحكيم شرع الله (ص ـ ٤٢) للعلامة عبدالعزيز بن باز.

شرع الله في كل مناحي الحياة فالحاكمية ليست بدعاً من القول كما توهم المتوهمون بل هي من أصل العبودية ومقتضياتها، وأن أصحاب الدعوات الحادثة يقرون بحقيقة العبودية كما فهمها السلف الصالح من الكتاب والسنة ومن هنا يظهر «مكمن الخلاف بين الدعوة السلفية وغيرها ومن الدعوات التي تتبنىٰ (العقيدة) وتخالف في المنهج»[٤٤]!! ويتضح الفرق بين أتباع السلفية الحقيقيين، وسلفيي عام **١٩٩٢**!!!؟.

(٤٤) رؤية واقعية (ص - ١٥).

٢ ـ بين السلفية وأهل السنة

بعد أن بين الكاتب حفظه الله الاختلاف في بعض تفصيلات العقيدة يذكر اسماً آخر خلط فيه دعاة المناهج الحادثة حين قال: «ومما يلحظ علىٰ هؤلاء (الدعاة) أنهم يتجنبون وصف دعوتهم بالسلفية مع إقرارهم وتصريحهم بأن عقيدتهم سلفية وإنما يشهرون ذكر وصف دعوتهم بـ«**أهل السنة والجماعة**» ويرددون ذلك ويكررونه في (محاضراتهم) (ونشراتهم)»[1] ثم يقول: «وهذا إن لم يقصده فهو من عظيم قدر الله سبحانه لتتميز دعوة الحق علىٰ كل ما شابهها ولتتمحض عن كل ما يشوبها أو يلبس لبوسها»[2] عجباً!!؟ وهنا يريد منا الكاتب أن نتسمىٰ بـ«السلفية» حتىٰ لا نبتعد عن الحق وهل لا يشفع لنا أن نتسمىٰ بـ(**أهل السنة والجماعة**)، وبما أن الكاتب شديد الاتباع للمنهج والبحث عن الدليل فأعتقد أنه يحق لي أن أسأله هل هناك دليل شرعي علىٰ (وجوب) التسمي بالسلفية خاصةً حتىٰ نصبح علىٰ الحق؟ وهل مجرد مثل هذا التسمي يدل علىٰ أننا أصبحنا في بر الأمان! ثم هل من يسمي نفسه مثلاً بـ«جماعة أنصار السنة المحمدية» أو «جماعة الدعوة للقرآن والسنة» يتجنب أن يُوصف بالسلفية!!، فهل يقول هذا الكلام إنسان عاقل، ثم علىٰ أي شيء استند الكاتب أن

---

(١)(٢) رؤية واقعية (ص ـ ٢١).

أصحاب الدعوات الحادثة يتجنبون ذكرهم بالسلفية فهل هناك مستند علىٰ كلامه أم أن هذا من بيت أفكاره!! أفلا يدل هذا علىٰ تعصب الكاتب غفر الله له لمسمىٰ (السلفية) حتىٰ أنه عاب علىٰ من يتسمىٰ (بأهل السنة والجماعة)، وهنا لا يسعني إلا أن أقول أن هذه مسميات «لا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء، ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان»[٣]!

أما بالنسبة لمسمىٰ «أهل السنة والجماعة» وهل من تسمىٰ به وجعله شعاراً لدعوته يعتبر غير متبع للسلف، ومسمىٰ السلفية أولىٰ منه أم لا؟ وللإجابة علىٰ ذلك نقول: «جاء رجل إلىٰ الإمام مالك رحمه الله ـ فقال: «يا أبا عبدالله أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله عز وجل.

قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله سل.

قال: من أهل السنة؟

قال «أي مالك»: أهل السنة الذين ليس لهم لقبٌ يعرفون به، لا جهمي ولا قدري ولا رافضي»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما سأل عن حديث الافتراق قال: «ولهذا وصف الفرقة الناجية بأهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع

---

(٣) حكم الانتماء ـ بكر أبو زيد (ص ـ ٣٩)!.

(٤) المصدر السابق (ص ٣٨).

والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية فضلاً عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، **فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة**»[٥].

إذن فـ«**أهل السنة والجماعة**» بدل من الفرقة، والمراد بالسنة الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات، والجماعة في الأصل القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا علىٰ الحق الصريح من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ»[٦].

إذن «فأهل السنة والجماعة هم الذين يمثلون الخط المستقيم الذي خطه النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ المشهور قال الله تعالىٰ: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾»[٧][٨] فـ«أهـل السنـة أهـل الحق ومن عداهم فأهل البدعة»[٩] ومن هنا يتضح أن كل من يصف دعوته بأهل السنة والجماعة

---

(٥) مجموع الفتاوي الجزء (٣) ص(٣٤٥ ـ ٣٤٦).
(٦) شرح العقيدة الواسطية ـ محمد خليل هراس ص (١٦ ـ ١٧).
(٧) حكم الانتماء (ص ـ ٥٠)!.
(٨) الأنعام (١٥٣).
(٩) «مسألة التقريب» د. ناصر بن عبدالله الغفاري (ص ـ ٢٦) وهو من قول شيخ الإسلام ابن تيمية.

إذا كان يقصد بهم سلف الأمة فهو خير متبع لهم، ثم يقول الكاتب فـ«بينما هؤلاء جميعاً يتحاشون وصف أنفسهم بـ«السلفية» ويتجنبون الانتماء إلىٰ «منهج السلف» نسبة فضلاً عن الواقع والحقيقة» فهذا أمر طبيعي بالنسبة لنا ولله الحمد إذ من المعلوم عند دعاة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة «أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال إتباع السلف»[١٠]..

سبحان الله فمعنىٰ هذا أن كل من لم يطلق علىٰ نفسه بمسمىٰ (السلفية) نسبة! فإنه من أهل البدع!!! نعوذ بالله من الخذلان!؟ وهل الذين يوصفون (بأهل السنة) نسبة! ما هم إلا أتباع لسلف هذه الأمة كما أسلفنا سابقاً ثم أنه لو راجعنا أغلب كتب العقيدة لوجدناها تصف أتباع السلف الصالح (بأهل السنة والجماعة) وعلىٰ رأي الكاتب فإنه قد تنازع مسمىٰ (أهل السنة) أقوامٌ شتىٰ فيجب أن نصف أتباع الكتاب والسنة (بالسلفية)، وعلىٰ هذا الأساس علينا أن نقوم بإلغاء مسمىٰ «أهل السنة والجماعة» من كتب العقيدة كلها واستبدالها بـ«السلفية» حتىٰ نصبح متبعين لا مبتدعين!!.

ونحن لا ننكر علىٰ أحد أن يتسمىٰ (بالسلفية) فهذه نسبة تشريف ولا شك ولكن ننكر علىٰ من يجعلها له خالصة دون غيره فهذه حزبية لا يرضاها ديننا فالتعصب لأي شيء كان فهو من بقايا الجاهلية ولذلك غضب الرسول ﷺ علىٰ المهاجرين والأنصار لما تعصب كل فريق لنفسه وغضب لذلك غضباً شديداً مع ما يعرف من المنزلة والتشريف الذي

---

(١٠) رؤية واقعية (ص - ٢٣).

يتصف فيه المهاجرون والأنصار فلا يغتر أحد بأي مسمىٰ، ويعتقد أنه علىٰ الحق وحده بل الحزبية في كل أمرٍ يعادي عليه يوالي عليه ويتعصب له، وأخيراً: نقول أن الخلاف هنا الذي طرحه الكاتب لا في الأصول ولا في الفروع بل أظن أنه خلاف في العقول!! فلماذا نوسع الخلاف بيننا حتىٰ في «المسميات» أفلا تكفينا الخلافات الكثيرة المقيتة التي نعاني من لظاها فهل نحتاج للمزيد؟!

٣ ـ التكتل الحزبي

يتحدث الكاتب حفظه الله في سياق بحثه عمن يسميهم (أصحاب المناهج الحادثة) ويفتتحه «بالتكتل الحزبي» محذراً (من. . ؟) من أن بعض هؤلاء الدعاة قد أحدث تكتلاً حزبياً ولكن لم تكتمل معالمه حيث قال: «. . والسبب في ذلك (التكتل الحزبي) الحادث الطارىء الذي يظن بعض من (هؤلاء الدعاة) أن فيه المخرج من الواقع الذي تعيشه الأمة. . وإن كان هذا التكتل لما تكتمل معالمه وتفاصيله إلىٰ هٰذه الساعة! ولكن كل آت قريب» ثم يقول محذراً: «فهذا نذير وتحذير فاسمعوا وعوا!!»[١] فيجاب عن هذا بأن أقول، أنه لا يوجد تكتل حزبي بين (هؤلاء الدعاة) والحمد لله! ولكن كل ما في الأمر هو **«تعاون شرعي»** في الدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ وعلىٰ مجاهدة المنافقين بالقلم واللسان! ثم نسأل الكاتب الفاضل هل هو ممن يعلم الغيب أم أنه اتخذ عند الله عهداً!!؟. . أكل هذا عرفه بمجرد زيارته للمدينة. . ، وعرف ما لم يعرفه طلاب العلم فضلاً عن علمائهم من هذا الشرر القادم!!؟؟ اللهم إلا أنصاره وأشياعه!!؟ ولكن يبدوا أن الأمر اختلط علىٰ الكاتب لأنه يرىٰ كل تجمع باطل شرعاً!! وليس من الدين

---

(١) رؤية واقعية (ص ـ ٣٥).

في شيء، وهنا لا بد لي من القول أن الحزبية ولا شك شرٌّ عظيم، وداءٌ وبيل، وقد حذرنا الله سبحانه ورسوله ﷺ منها وتكلم في ذمها وتحريمها علماء الأمة في القديم والحديث، ولكن. . هنا أمرين لا بد من التفريق بينهما، ألا وهما «الجماعة» و«الحزبية»، فالكاتب حفظه الله لم يفرق بينهما ويجعلهما أمراً واحداً، وهذا جمع فاسد!!، والحقيقة أنني في هذا المقام لن أناقش هذه المسألة هنا لأن لها بحثاً مستقلاً إن شاء الله تعالىٰ، ولكن لا بد لنا من المرور علىٰ هذه القضية سريعاً لكي يظهر للقارىء الكريم أن «الجماعة» بحد ذاتها ليست باطلاً! فنقول رداً علىٰ القول المخالف بـ أولاً: لقد حرم الله الحزبية في أي زمان أو في أي مكان وليست ملزمة (بالجماعة) بل قد توجد أكثر وضوحاً من دون وجود الجماعة ومن يرجع إلىٰ كلام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية يعلم هذا جيداً، فهو يحرم الحزبية بين المتعلمين والمعلمين وجدت جماعة أم لم توجد سواءً.

ثانياً: أن الله سبحانه قد حرم الحزبية والتعصب مع وجود الجماعة المسلمة في عهد النبي محمد ﷺ، وتحدثنا السيرة عن قصة المهاجري[٢] الذي كسع أنصارياً فتصايحا فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال النبي ﷺ: «أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة»! فهنا أشار النبي ﷺ أن الحزبية والعصبية من عزاء الجاهلية، ولكنه لم ينكر أصل الانتساب ولم يقل لا تتسموا بهذه الأسماء

---

(٢) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم.

لأن الانتساب لا شيء فيه بل الخطأ في مروق العصبية الجاهلية للأنساب وغيرها، لذلك عندما تتمعن في قول النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة» تعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قصد ترك العصبية و«الهاء» في دعوها عائدة علىٰ دعوىٰ الجاهلية وهي العصبية الحزبية وليس لأي أمر آخر.

ثالثاً: إذا كان وجود الجماعة يقتضي بالضرورة وجود الحزبية، فهذا يعني تحريمها إذاً يجب علينا تحريم دراسة **المذاهب الأربعة** وإلقائها مع مخلفات الجاهلية لأنها تقتضي بالضرورة وجود التعصب والتحزب لها **زعموا***!!

رابعاً: وجود الجماعة في الدعوة إلىٰ الله واجبة **لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ** «فإذا كان مأمورٌ بشيء كان مأمورٌ بما لا يتم إلا به»[3] ونحن مأمورون بالدعوة إلىٰ الله ولن تكون هناك دعوة منظمة إلا بإطار الجماعة وهذا لمن له نظرة صحيحة **لا نظرة شحيحة**!! «فالوسيلة إلىٰ الواجب واجبة»[4] وكذا الدعوة فالوسيلة إليها لن تكون «مؤثرة» إلا (بجماعة الدعوة) ونحوها الجهاد لا يتم إلا بالجماعة ولا أعتقد أن عاقلاً يقول بأن الجهاد يكون فردياً!! «**فالقتال الإسلامي دوماً منظم مخطط وليس عشوائياً مشتتاً**»[5]! وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بجماعة منظمة «لأن الله تعالىٰ أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا

---

* راجع أبو داود حديث رقم (٤١٥٨)! جزء (٣).
(٣)(٤) رسالة في القواعد الفقهية ـ للشيخ عبدالرحمن السعدي (ص ـ ٢٥).
(٥) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة! (ص ـ ٧٩) سليم الهلالي!

بالقوة والإمارة»[٦]، وتخيل لو أن جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية مثلاً أصبح أفرادها غير منتظمين بجماعة أليست ستتحول من جماعة للمعروف آمرين إلىٰ ما أشبه بقطاع الطرق والمجرمين!!؟ ثم يطلع علينا من يقول أن قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» **إستدلال باطل!!**

خامساً: والجماعة يلزم لها وجود الأمير «**وليس الإمام**»! ينظم أمورها وترجع إليه حتىٰ لا تختلف ويقول الرسول ﷺ: «**إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»[٧] «أي يجعلون أحدهم أميراً عليهم»[٨]! و«إنما (أمر) بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بهم الرأي»[٩] و«ليسهل قطع النزاع والاختلاف عليهم»[١٠] وهذا بالسفر فمن باب أولىٰ أن يكون لجماعة الدعوة أمير إذن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، **تنبيهاً بذلك علىٰ سائر أنواع الاجتماع**»!![١١] ولأن الاختلاف هنا أكثر احتمالاً حيث تكثر الآراء والاقتراحات فوجب هنا (الأمير) ليقطع النزاع والاختلاف.

سادساً: يجوز لأفراد الجماعة أن يتعاهدوا[١٢] فيما بينهم في التعاون علىٰ

---

(٦) مجموع الفتاوي ج ٢٨ صفحة ٣٩٠.

(٧) صحيح أبو داود رقم (٢٢٧٢) (٢٢٧٣) الجزء (٢).

(٨، ٩) عون المعبود (ص - ٢٦٧) الجزء (السابع).

(١٠) بذل المجهود (ص - ١١١) الجزء (الثاني عشر) باب الجهاد.

(١١) مجموع الفتاوي ج ٢٨ ص٣٩٠.

(١٢) والعهد نوع من أنواع البيعة.

الخير والدعوة إلىٰ الله، والحب في الله ونصرة الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . الخ.

وهذا من باب قول الله تعالىٰ: ﴿**وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ**﴾.

سابعاً: لا يقول عاقل بأن الدعوة الفردية تنتج كثيراً علىٰ فرض أنها تنتج شيئاً! لأن «**العمل الفردي لا يجدي نفعاً لتحقيق الغاية من إنزال الإصلاح علىٰ الناس**»[١٣]! وبالمقابل فإن الدعوة عن طريق «الجماعة» أفضل بكثير من العمل الفردي لذلك يقول الرسول ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[١٤] فالجماعة رحمة لأن فيها سيتجه الشباب للدعوة متشجعاً وهذا مدعاة للنشاط والعمل والمثابرة والتناصح علىٰ الخير والعبادة بعكس عندما تكون عملاً فردياً فإن هذا مدعاة للكسل والركون للدنيا ولعله الخروج عن الطريق لهذا يقول الرسول ﷺ: «**فعليكم بالجماعة، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[١٥].

ثامناً: أما أن يعتقد بعضهم أنه بمجرد ذهاب الجماعات فإن الحزبية ستتلاشىٰ فهو جاهل بالواقع والتاريخ، فإن الحقيقة التي يجب أن تعرف هي أن الجماعة ليست دافعاً للحزبية، فالخطأ ليس بالتنظيم لأن «**خطأ التنظيمات الإسلامية المعاصرة لا يبرر النفور من التنظيم لأن الخطأ ليس**

---

(١٣) الجماعات الإسلامية (ص ـ ٤٧)!
(١٤) صحيح الجامع حديث رقم (٣١٠٩) الجزء الأول.
(١٥) صحيح الجامع برقم (٥٧٠١) جـ ٢.

في التنظيم وإنما في الفكر الذي يوجه التنظيم، إذن فالقياس علىٰ التنظيمات الموجودة خطأ»[١٦]!.

تاسعاً: يدخل بعض من هم من ذوي العقول والأفهام الجماعات الإسلامية ضمن حديث الرسول ﷺ: **«إفترقت اليهود علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارىٰ علىٰ إحدىٰ أو اثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة»** وفي رواية: **«كلهم في النار إلا ملة واحدة»** قال: من هي يا رسول الله؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**[١٧].

ونحن نقول ونعتقد أن الحديث نزل في الفرق الضالة التي تخالف في أصول الاعتقاد كفرق الصوفية والجهمية والمعتزلة، أما هذه الجماعات لا تعدوا أن تخرج عن إطار أهل السنة والجماعة، ولكن يعتريها بعض الأخطاء ولكنها لا تصبح (اعتقاد) الجماعة، فكل هذه الجماعات تسير في طريق قيام الأمة، فالحديث هنا لا يقوم مقام الاستدلال، فهو ممنوع، لذلك للحقيقة والتاريخ أقول: «فوجود أخطاء عدة لدىٰ التيارات الإسلامية المعاصرة، لا يدخلها مصاف الفرق الهالكة ولا يجعلنا نسجلها في القائمة السوداء التي ذكرت في ثناياها جميع الفرق ما عدا أهل السنة، أي أننا لا نحكم علىٰ هذه الجماعات المعاصرة بالخروج من صفوف أهل السنة والجماعة، والانحياز لأهل البدع والضلالات»[١٨]!.

---

(١٦) الجماعات الإسلامية (ص - ١٨٠)!

(١٧) صحيح الترمذي برقم (٢١٢٨) وبرقم (٢١٢٩).

(١٨) الجماعات الإسلامية (ص - ١٨١)!

عاشراً: يحتج من يحرم عمل الجماعات والتنظيمات الإسلامية بأنها لم تكن علىٰ عهد النبي ﷺ، وهنا يجب أن نوضح لهؤلاء بأنه ولا شك لم تكن لهذه الجماعات أثرٌ في عهد النبوة الأول، لأنه لم يكن هناك من داعٍ لإنشائها، أما الآن وقد أزيلت الخلافة والشريعة من الأرض كان هذا سبب في خروج هذه الجماعات الإسلامية وفي أقطار مختلفة للدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتربية المسلمين التربية الصحيحة ومجاهدة الكافرين والمنافقين والمطالبة بتحكيم الشريعة، فكان وجودها هذا إيجابياً لمحاولة إعادة الأمة، وهنا يظهر عدم حجية من يحرم هذه الجماعات بدعوىٰ عدم وجودها في فجر الإسلام لذا وجب التنبيه.

الحادي عشر: أما من يعتمد في تحريم عمل (الجماعة) بحديث حذيفة بن اليمان في سؤال النبي ﷺ عن الشر، فهذا استدلال في غير محله، لأن النبي محمد ﷺ أشار إلىٰ حذيفة عندما سأله «**فما تأمرني إن أدركني ذلك؟**» فقال له: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»[١٩] وهنا لا بد من توضيح المقصود بـ«اعتزل تلك الفرق كلها. .» فالمقصود هنا بالفرق، فرق الضلالة الخارجة عن جماعة المسلمين لقول «العلماء: **هؤلاء من كان من الأمراء**

---

(١٩) رواه البخاري ومسلم وهو جزء من حديث حذيفة المشهور.

يدعو إلىٰ بدعة أو ضلالة آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة»[20] فيفهم من حديث حذيفة هذا «لزوم جماعة المسلمين وأمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي»[21] فلا يدخل في نطاقها الجماعات الإسلامية التي لا تعدوا أن تخرج عن إطار أهل السنة والجماعة وهذه ليست من نطاق ما أشار إليه النبي ﷺ بشأن الاعتزال، وهذا ما فهمه الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز عندما ذكر الحديث فقال: «فهذا الحديث العظيم الجليل يرشد أيها المسلم إلىٰ أن هؤلاء الدعاة اليوم الذين يدعون إلىٰ أنواع الباطل كالقومية العربية والاشتراكية والرأسمالية الغاشمة وإلىٰ الخلاعة والحرية المطلقة وأنواع الفساد كلهم دعاة علىٰ أبواب جهنم سواء علموا أو لم يعلموا، من أجابهم إلىٰ باطلهم قذفوه في جهنم»[22] ثم لا أعتقد أن عاقلاً يفقه في دين الله شيئاً يقول أنه بغياب إمام المسلمين فعلىٰ المسلم أن يبحث عن جذع شجرة علىٰ مقياس فكيه فيعضها!!! بل يجب عليه أن يدعوا إلىٰ الله ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ولا يكون هذا إلا بعمل منظم داخل إطار «الجماعة» والآن إذا عرفت هذا وعرفت ما سبق من أن الاعتزال لا يشمل جماعات الدعوة يظهر لك بطلان المستدل به علىٰ تحريم العمل الجماعي والله المستعان وعليه التكلان!

الثاني عشر: أجاز جمع عظيم من العلماء الأجلاء العمل الجماعي

(٢٠، ٢١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة (ص - ٣٢٩) الجزء الثاني عشر.

(٢٢) نقد القومية العربية (ص - ٦٧).

وانتقدوا الأخطاء التي تعتريه ومن ضمنها (الحزبية) ولكنهم فرقوا بينهما ودعوا إلىٰ الاتحاد والتنسيق بين الجماعات الإسلامية ومن يريد التأكد فليرجع إلىٰ «**كتاب الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الدعاة**» للعلامة عبدالعزيز بن باز[٢٣] وكتاب «**أصول الدعوة**»[٢٤] وكتاب «**مواقعنا المتأخرة في سبيل التقدم**»[٢٥] فسيظهر لك هذا جلياً.

الثالث عشر: الغريب في كتاب هذا الزمان، أنهم لا يذكرون إلا السيئات في نقدهم وتقويمهم ويغمضون أعينهم عن الحسنات والإيجابيات، وهنا في باب العمل الإسلامي لا يستطيع من له أدنىٰ إلمام بواقع الجماعات الإسلامية، ما لها من فضل عظيم في تخريج الشباب المسلم الملتزم بدينه وعقيدته في هذه الأمة التي تدفع بأنهار من الشهوات، ومستنقعات من الفساد لتدمير الشباب فما هذا الشباب إلا وليد هذه الجماعات الإسلامية وليس العمل الفردي! والحقيقة إن ديننا يرشدنا إلىٰ ما فيه الخير والمصلحة المتحققة لهذه الأمة لمن له **نظر صحيح لا نظر كسيح!!** فعلىٰ هذا إن كان العمل الجماعي حراماً، فلو ذهب شاب مثلاً إلىٰ بلاد الغربة وهو أحوج للثبات والبعد عن الانحراف والضياع ووجد في أحد مدنها نشاط لإحدىٰ جماعات الدعوة فليس له أن ينتظم بها بل يعتزلها حتىٰ لو أدىٰ ذلك إلىٰ فساده وضياعه!!! لأن العمل الجماعي حراماً

---

(٢٣) في فصل الحركات الإسلامية ودور الشباب فيها بالاضافة لمراجعة شريط بعنوان «**الدعوة إلىٰ الله بين الغلو والتفريط**» للشيخ صالح بن عثيمين.

(٢٤) للدكتور عبدالكريم زيدان من (ص٤٦٣ ـ ٤٦٦).

(٢٥) محمود شاكر ص١٠٠.

فهل يقول هذا عاقل؟! لا . إنَّ علىٰ المسلم أن يبحث عن العمل الجماعي لأنه وحده سيكون عرضة للوقوع في الفتن الكثيرة هناك، ثم إنك تسمع عن الشباب الذين يذهبون إلىٰ بلاد الغربة ولا يضيعون ويرجعون مسلحين بالعقيدة والإيمان. من أين جاءهم ذلك هل عن طريق العمل الفردي، أم هو طبيعة عمل جماعي منظم؟ ومصلحة الشباب وجود الجماعة التي تحميه من الفتن والفساد، فالمصلحة هنا راجحة، وبدون الجماعة ستكون المفسدة متحققة، وعلىٰ هذا أقول **فالمصلحة الراجحة مقدمة علىٰ المفسدة المتحققة والسلام!**.

وأخيراً: الغريب أن الملاحظ علىٰ الأخوة في الأردن قد اجتمعوا علىٰ **ألا يجتمعوا!!** فهم منقلبون علىٰ أنفسهم في زاوية حادة جدًّا مع أنهم من نفس **المنهج والطريق!** فبينما نجد الكاتب الفاضل يحرم الجماعة ويشنع علىٰ من يبيحها ويبين أن هذا سبباً للفرقة والعذاب وانحراف عن الإسلام سحيق! نجد أحد أصحابه الأكارم يعزوا السلبية الوحيدة للجماعات السلفية إلىٰ عدم وجود جماعة منظمة!! فيقول معاتباً السلفيين وموضحاً لهم بـ«إن إنشاء مجتمع إسلامي رباني، واستئناف الحياة الإسلامية، يقتضي وجود جماعة منظمة لها أهداف مرحلية تسعىٰ لتحقيقها ضمن حدود الشريعة. .»[٢٦] ثم يستدل علىٰ وجود الجماعة بـ«الدليل الشرعي ﴿**وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ**﴾ الأمر يفيد الوجوب كما هو مقرر في علم الأصول والتعاون لا يحصل إلا بوجود أطراف متعاونة متفاعلة متشاركة،

---

(٢٦) الجماعات الإسلامية (ص - ١٧٩)!.

ووجود طائفة مسلمة لتحقق واجب التعاون فيما بينها واجب «لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٢٧]!! ثم يستدل أيضاً بحديث الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة، فينزل عيسىٰ ابن مريم، فيقول أميرهم: تعالىٰ صلي بنا، فيقول لا إن بعضكم علىٰ بعض أمير تكرمة الله لهذه الأمة**»[٢٨] ثم يستنبط من الحديث أمور من أهمها «الفرقة الناجية لا تزال تقاتل أعداء الله، والقتال الإسلامي دوماً منظم مخطط وليس عشوائياً مشتتاً، وجود أمير للفرقة الناجية «فيقول أميرهم» وإن كان المقصود بالأمير في الحديث المهدي فالفرقة الناجية موجودة قبل ظهور المهدي **فوجود الأمير لا بد أن يكون أيضاً قبل المهدي** حتىٰ يأتي ويتسلم الراية ويسير علىٰ البيضاء النقية»[٢٩] ثم يبين أن للتنظيم فوائد جمة «فهو يجدد نشاط المسلم وهمته قد يبيت الرجل مع المتهجدين فيصلون أكثر الليل وعادته قيام ساعة فيوافقهم ولولاهم ما انبعث هذا النشاط»[٣٠] والتنظيم أيضاً «يعين المسلم علىٰ الالتزام بالإسلام عندما يرىٰ إخوانه من حوله يعملون الصالحات، ويتسابقون لفعل الخيرات وسط هذا المجتمع الآسن، وهو يجمع الصفوف المبعثرة، والطاقات المهدورة فيكون الإنتاج أعظم وأكبر. وقد قام الدليل الشرعي علىٰ وجوبه، **وكفىٰ بالقرآن والسنة دليلاً**»[٣١]!! هذا الكلام أعتقد أنه الحق، في هذه المسألة، ولكن نرىٰ

---

(٢٧)(٢٨) الجماعات الإسلامية (ص - ١٧٩)!

(٢٩) المصدر السابق (ص - ١٧٩)!

(٣٠)(٣١) الجماعات الإسلامية (ص - ١٨٠)!

الكاتب وصاحبه مختلفون على أنفسهم وكل واحد يخالف الآخر جملة وتفصيلاً كمّاً وكيفاً مع أنهم من (تجمع) آسف!! **أقصد من طريق واحد!** فعلى هذا نقول:

١ـ أن الخلاف موجود ولا بد منه في هذا الوجود..، ولكن ليعلم الكاتب حفظه الله أن الخلاف الذي «**أساسه الفهم يزول ويذوب علمياً، أمام النقاش الرزين، والبحث الموضوعي المنطقي المتسلسل البعيد عن مراء المناظرات، وعرض العضلات**»[٣٢]!!؟

٢ـ ونعرف أيضاً أن الخلاف هنا **ليس خلافاً في الأصول بل في الفروع** مع أنه خلاف والخلاف أكثره شر ولا ينتج عنه إلا الشر!

٣ـ نقول للكاتب حفظه الله عليك قبل أن تشنع على مخالفيك أن تتفق قبل ذلك مع (إخوانك في المنهج) ثم بعد ذلك **تتجه لغيرهم!!**

---

(٣٢) المصدر نفسه (ص ـ ١٨١)!

٤ ـ فقه الواقع

تحدث الكاتب حفظه الله عن فقه الواقع منتقداً دعاته وذلك في كتاب منفصل[١] وفي جزء من كتابه الآخر حيث قال: «وهو ما يسمىٰ بلغة بعض من هؤلاء الدعاة بـ«فقه الواقع»[٢] ثم أخذ يرميهم بتجميع الشباب وأنهم يقصدون التنظيم الحزبي وإنهم يستعلون علىٰ الناس وإنهم.. وإنهم إلىٰ آخر كلامه ولا بد لي من الدخول في صلب الموضوع حتىٰ تتضح الصورة ونعرف ما هو فقه الواقع ثم نحكم علىٰ الخلاف الموجود..، فما هو فقه الواقع؟.. **والحقيقة أننا إذا أردنا أن نعرِّف فقه الواقع في نظر الكاتب حفظه الله فلن نستطيع أن نحدد له تعريفاً مطلقاً، ويبدو لي أن الكاتب لم يفقه (فقه الواقع) فأخذ يجتهد لكي يحدد له تعريفاً واضحاً ولكن لم يفلح!** فتراه مرة يعرف فقه الواقع بقوله: «ولست أتصور أحداً من الدعاة الذين يلهجون بذكر فقه الواقع ويجعلونه ديدنهم وهجيراهم أن يقول بخلاف ما هو (واقع) من أن (فقه الواقع) بصورته الشرعية، فقه مستمد من كتاب الله تقدست أسماؤه، وسنة النبي صلوات الله عليه وسلامه وليس فيه شيء سوىٰ ذلك من أطر باردةٍ، أو تصورات وافدة»[٣]!! ثم

---

(١) وهو كتاب (فقه الواقع بين النظرية والتطبيق).

(٢) رؤية واقعية (ص ـ ٦٤).

(٣) فقه الواقع (ص ـ ٩).

يقول في موضع آخر: «وطريقة (فقه الواقع) القرآنية ـ بسهولة ودون تعقيد ـ هي علىٰ نحو ما بينه الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي في كتابه «كل من سلك طريقاً، وعمل عملاً، وأتاه من أبوابه وطرقه الموصلة إليه، فلا بد أن يفلح وينجح ويصل به إلىٰ غايته كما قال الله تعالىٰ: ﴿**وأتوا البيوت من أبوابها**﴾[٤] ثم يقول: «فقه الواقع»: كتاب وسنة، علم وعمل، سداد وهداية، فهم ودراية، بصيرة ونباهة، تيقظٌ وحضور. .»[٥]! ثم يعرفه في موضع آخر فيقول: «فهذا هو خلاصة القول في فقه الواقع دون تمطيط أو تفريط معرفة حكم الله سبحانه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وتطبيق ذلك علىٰ الوقائع الحاضرة والمسائل المعاصرة»[٦] ثم يقول في الصفحة المقابلة ففقه الواقع هو إعمال قول الله تعالىٰ: ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ وقوله عز وجل: **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**﴾[٧] من غير تحوير ولا تغرير، من غير بهرجة ولا تزييف، من غير تزيين ولا تحريف» ثم يقول: «فالسياسة في فقه الواقع هي تطبيق ثوابت الكتاب والسنة علىٰ مستجدات العصر دون مواربة باطلة ولا مماحكة خادعة»[٨]!

ويعود فيقول: «فحقيقة فقه الواقع من غير زيوف ولا رتوش!! تطبيق

---

(٤) فقه الواقع (ص ـ ١١).
(٥) المصدر السابق (ص ـ ١٣).
(٦) المصدر السابق (ص ـ ١٦).
(٧) المصدر السابق (ص ـ ١٧).
(٨) المصدر السابق (ص ـ ٢٩).

أحكام الإسلام علىٰ النفس والمجتمع بعلم ودراية وبصيرة. .»[9] و«حقيقة فقه الواقع: إنفاذ الأحكام بإحكام ولاءً وبراءً أخذاً وعطاءً»[10] و«حقيقة فقـه الواقع: العمل بالعلم، والسير علىٰ طريق الهداية بحلم، دون حماسات تجرف، ومن غير عواطف تحرف. .»[11] ويقول: «حقيقة فقه الواقع معرفة أقدار النفوس، والوقوف عند حدود الشرع دون تعد ولا تحد. .»[12]!؟ ويقول: «حقيقة فقه الواقع: إعمال الحب في الله والبغض في الله دون مواربة أو مداراة»[13]!؟ وينتهي فيقول: «فقه الواقع الدعوة إلىٰ الله بعلم وعلىٰ بصيرة، بأخوة الإسلام، وفطرية الدعوة، ونقاء السرائر، وإخلاص القلوب دون (شرذمة) أو (تمحور)»[14]!!؟ والآن. . وبعد هذا السرد الذي أرجو أن لا يكون مملاً لتعريف فقه الواقع هل توصلنا لمعنىٰ اصطلاحي واضح لتعريف فقه الواقع في رأي الكاتب! والذيٰ يبدو لي حقيقة أن الكاتب لم يفقه فقه الواقع الذي يتحدث عنه لذلك أخذ يتخبط خبطاً عشوائياً محاولاً تعريف فقه الواقع ولكن دون نتيجة واضحة، وأقول إذا كان فقه الواقع هو تلك التعريفات السابقة فما هو تعريف الإسلام إذن! وما تعريف العلم وما تعريف الولاء والبراء والدعوة إلىٰ الله؟! وحتىٰ نكون منصفين فلا نستطيع أن نعرف حقيقة فقه الواقع كما فقهه المؤلف إلا أنه «الإسلام والإيمان والعقيدة والشريعة والعلم والولاء والبراء والدعوة إلىٰ الله والجهاد والحكم بما أنزل الله بعلم ودراية وبصيرة ولاءً وبراءً، أخذاً

---

(٩)(١٠)(١١) المصدر السابق (ص ـ ٣٨).
(١٢)(١٣)(١٤) المصدر السابق (ص ـ ٣٩).

وعطاءً دون حماسات تجرف ومن غير عواطف تحرف دون تعد ولا تحد، ودون مواربة أو مداراة ودون شرذمة وتمحور»!!! عجيب والله أمر هذا الكاتب هدانا الله وإياه فمعنىٰ هذا أنه إذا أردت تعريف الكتاب والسنة فيكون التعريف هو (فقه الواقع) فهل يقول هذا الكلام فقيه!! وبما أن فقه الواقع فرض كفاية كما نعتقد فهل تعلَّم «الكتاب والسنة» فرض كفاية!! ومعنىٰ هذا أيضاً أن «هؤلاء الدعاة» الذي يسميهم الكاتب هداه الله بـ«دعاة فقه الواقع» يبنون فهمهم للواقع علىٰ غير الكتاب والسنة.. علىٰ غير هدىً من الله سبحانه بل علىٰ غير الإسلام أصلاً!! سبحان ربي هذا جهل عظيم!! فهل هذا ما يريد أن يوصلنا إليه الكاتب من خلال مناقشته الموضوعية هذه!! ولكي يعرف القارىء تجني الكاتب غفر الله له علىٰ «هؤلاء الدعاة» نرجع إلىٰ إحدىٰ كتبهم والتي تتحدث عن فقه الواقع وهو «كتاب فقه الواقع مقوماته وآثاره ومصادره»[١٥] حيث يعرف فقه الواقع تعريفاً واضحاً جلياً فيقول: «هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوىٰ المهيمنة علىٰ الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل»[١٦] فما الخطأ في هذا التعريف، وهل هذا علم جديد أخرجه «هؤلاء الدعاة» من جيوبهم!! أم أن «أساسه في القرآن والسنة وفي كلام سلف الأمة»[١٧] ويظهر هذا الأمر جلياً عندما يضع

---

(١٥) للدكتور ناصر بن سليمان العمر!

(١٦) المصدر السابق (ص - ١٠).

(١٧) المصدر السابق (ص - ١١).

الكاتب حفظه الله أصول هذا العلم ويبنيها علىٰ «القرآن الكريم وتفسيره، والسنة النبوية العطرة وسيرة السلف الصالح وكتب العقيدة والفقه، ودراسة التاريخ وفقه السنن»[١٨] فإذا كان هذا أساس فقه الواقع في نظر (هؤلاء الدعاة) فما هي المشكلة إذن، ولماذا هذه الحرب الشعواء عليهم! هل لأنهم نبهوا علىٰ التفاعل الإيجابي مع الواقع، بمعنىٰ إدراك ما يدور في هذا العالم وتتبع ما فيه من أحداث، ومعرفة تخطيط الغرب والشرق وما يحيكونه من دسائس ضد الأمة أم أن الخطأ يكمن في دعوتهم للشباب بالاطلاع علىٰ الكتب السياسية الثقافية وكتابات السياسيين والاطلاع علىٰ الصحف ووكالات الأنباء المرئية والمسموعة[١٩] إذن علينا أن نعيش الواقع في بروج عاجية ولا نهتم بما يدور حولنا ولا ما يحاك ضدنا فنحن **معنا الكتاب والسنة!!** فهل يريد أن نفعل كما فعلت الصوفية، أن نجلس في مساجدنا نقرأ في البخاري ومسلم والمستعمر يغزو بلادنا! أقول أليس هذا هو بعينه **«التصوف العصري»!!** وإذا كان الاهتمام بمخططات أعدائنا ومطالعة مذكراتهم و. . الخ عواطف وحماسات.

فلماذا يقول الرسول ﷺ: **«لا يلدغ المسلم من جحر مرتين»**[٢٠] أليس من الأحرىٰ أن نكون متيقظين لما يحاك ضدنا ولا نكون من الغافلين عن واقعنا! **أم يجب أن نكون سطحيين بسطاء ضيقي الأفق لا نفقه الدعوة،**

---

(١٨) المصدر السابق يراجع (ص٦١ ـ ٦٧).

(١٩) ونقول مجرد إطلاع للمعرفة فقط.

(٢٠) السلسلة الصحيحة الحديث رقم (١١٧٥) الجزء الثالث.

جهلة بواقع الأمة وما يدبر لها!!! ولكن الكاتب هداه الله يعتبر هذا كله وهم يعيشه فهماء فقه الواقع!! فالكاتب غفر الله له لا يريد لنا أن نعرف شيئاً عن الشيوعية ولا عن الهيمنة الأمريكية وخبايا النظام العالمي! وخفايا القومية العربية وأهداف العلمانية، والاهتمام بمجريات قضية فلسطين! ومعرفة طرائق حكماء صهيون!!

فمثل ما يريده الكاتب كمن قال لصاحبه إنني أرىٰ أعداءنا يحاربوننا بأسلحة متطورة وفتاكة ولذلك أريد أن أجتهد لتعلم دراسة صناعة الأسلحة، فيقول له: **يا جاهل** أتتعلم صناعة الأسلحة من أعدائك وعندك كتاب الله يقول: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾**!! ومثله كمن يشاهد واقعه وقد تكالب علىٰ أمته الأعداء وهم يسعون جاهدين لتدمير الأمة ويزرعون الفساد بها فيقول لا بد من كشف مخططات هؤلاء المجرمين وفضحهم حتىٰ لا يغتر بهم بنو قومي! **فيقول له صاحبه (العارف بكتاب ربه)! يا هذا لا تتحرك بعواطفك ولا تضيع وقتك الثمين بتتبع هؤلاء وهؤلاء وعندك كتاب ربك وسنة نبيه** ﷺ، فالله سبحانه يقول: **﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾**!! وكفىٰ!؟ ومعنىٰ هذا أيضاً أنه إذا جئت لتقرأ مثلاً كتاب «**لعبة الأمم**»[21] أو كتاب «**أسرار حرب الخليج**»[22]! أو «**كشف الغمة**»[23] فهذه

---

(٢١) مايلز كوبلاند.

(٢٢) لتوم مايثوز.

(٢٣) د. سفر الحوالي.

حماسة وجهالة!! وإذا أردت أن تتعرف علىٰ مكائد اليهود وسيطرتهم العالمية فتصفحت في كتاب «**أحجار علىٰ رقعة الشطرنج**»[24] أو كتاب «**اليهود العالمي**»[25] أو كتاب «**المفسدون في الأرض**»[26] فهذا بعد عن المنهج القويم!! وإذا أردت أن تعرف مكر الصليبيين بالأمة فقرأت كتاب «**التغلغل الصليبي في منطقة الخليج العربي**»[27]! أو اطلّعت علىٰ كتاب «**أصول التنصير في الخليج العربي**[28]!، **فهذا بعد عن الصراط!!** وإذا أردت أن تتعرف علىٰ الذي يتآمر عليه المتآمرون في قضية المسلمين الأولىٰ «**فلسطين**» فقرأت كتاب «**التطبيع إستراتجية الاختراق الصهيوني**»[29] أو كتاب «**مؤتمر الاستسلام وأبعاد المعارضة الإسلامية**»[30] فأنت واقع في **حلقة الاستدراج الماكر!!؟ فوالله لو كان الجهل بيضاً لفقسته!!!** فلماذا نهتم إذاً باحتلال القوات الصليبية للخليج العربي، فلا يحق لنا أن نفقه الواقع حولنا إلا بالكتاب والسنة ولا نلتفت لحجم القوات الصليبية ولا نهتم بأجناسهم، فلا يهم أن يكون في صفوفهم بريطانيين أو فرنسيين أو حتىٰ إسرائيليين!! بل ليس من الحكمة في شيء أن نضيع أوقاتنا بأسباب وجود هؤلاء الصليبيين ثم ماذا سيقدم هذا في الأمر أو يؤخر! وماذا لو

---

(٢٤) وليام غاي كار.

(٢٥) هنري فورد.

(٢٦) س. ناجي.

(٢٧) أحمد فون دنفر.

(٢٨) تأليف كوتوي زيقلر.

(٢٩) غسان حمدان.

(٣٠) من إصدارات مركز الدراسات الإسلامية!

عرفنا أن هذه القوات جاءت لضرب قوة المسلمين المتمثلة بالقوة العراقية[٣١] أو أنها جاءت لنهب ثروات الأمة والسيطرة عليها عسكرياً وسياسياً!!! فهذا مخالف في «أصوله» و«تطبيقاته» لقواعد المنهج السلفي وأسسه»[٣٢]!!؟؟

فهل من قواعد المنهج السلفي أن نعرف أين **تذهب أموال المسلمين بالبلايين!!** وبأيدي من تقع!؟ أو نعرف أن هناك من يريد لنا أن نكون دائماً فقراء وهمنا فقط المال والبيت والأولاد والمأوىٰ لنتلهىٰ بها عن حقيقة أهدافنا[٣٣] والحقيقة أن الكاتب غفر الله له يريدنا أن نفقه فقه الواقع حسب أصول وتطبيقات المنهج السلفي، بالضبط كما فهمها رئيس جمعية السلفيين[٣٤] حين قال: «**فلقد سخر الله لنا أمم الأرض لإزالة الاحتلال والعدوان**»[٣٥]!! أو كما فهمها الذي هو من شيعته حين قال «منصفاً» أن القوات الأمريكية قدمت المساعدات للأكراد وهم «**أي الأمريكان» الذين يقـدمون لهم الأمن، ويقدمون لهم الأغذية، ويقدمون لهم الملابس ويقدمون لهم أيضاً السكن إلىٰ آخر ذلك**»[٣٦]!! **أهذا هو الفهم الصحيح**

---

(٣١) وبالطبع أعدائنا يعرفون جيداً أن صداماً مهما بقي في الحكم فسوف يذهب، ولكن قوته هي التي ستبقىٰ فإذن يجب تدميرها!!

(٣٢) رؤية واقعية (ص - ٧).

(٣٣) يقول الله سبحانه: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتأمنون بالله**﴾.

(٣٤) وهي جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت!.

(٣٥) جزء من شريط (الأمة الإسلامية في ظل التغيرات المعاصرة).

(٣٦) من شريط البراءة مما جاءة في شريط ففروا إلىٰ الله!!

لفقه الواقع من الكتاب والسنة لا بل هو العيش بدون واقع!!!.

فما لكم يا قوم..

كيف تفكرون؟!

كيف تفهمون؟!

وكيف تكتبون؟!!

سبحان الله ألهم عقول يفقهون بها؟!

أم لهم أعين يبصرون بها؟!

أم لهم آذان يسمعون بها؟!

سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين!!!

ولكن.. كيف فهم العلماء والدعاة فقه الواقع، هل هو فقه العيش بدون واقع أم العيش مع الواقع! يقول محب الدين الخطيب في مقدمة كتابه «الغارة علىٰ العالم الإسلامي»: أن زميله مساعد اليافي جاءه ليخبره عن إحدىٰ المجلات الفرنسية وهي «مجلة العالم الإسلامي» أصبحت مجلة تبشيرية تنفث سمومها في رقعة العالم الإسلامي، فقال محب الدين الخطيب: إن المجلة الفرنسية بنشرها هذا العدد الخاص بأعمال المبشرين البروتستانت تقول للمبشرين الكاثوليك!: انظروا كيف سبقكم الآخرون إلىٰ الغارة والفتح (!!)، فيجب أن تضاعفوا جهودكم وتنظروا في أساليبهم

فتستفيدوا منها»! فقال محب الدين الخطيب لصاحبه: «ونحن أيها الأخ - بصفتنا مسلمين - يجب علينا أن نعلم ما يكيده لنا هؤلاء وأولئك، وأن نجعل أمتنا علىٰ علم بما ينصب لها من شارك وما يبيت لها من شر»!!

ويقول صاحب كتاب «**مواقعنا المتأخرة وسبيل التقدم**»[٣٧]! **وهو يبين السبيل لتقدم الأمة ويضع نقاط يجب إتخاذها وللتحقيق ذلك ومنها قوله** ص٩٩: «التعرُّف علىٰ أساليب الأعداء، وخططهم ومراميهم فإن أساليبهم ماكرة ومخططاتهم خبيثة، وأهدافهم تطفح بالحقد علىٰ الإسلام وأبنائه، وبعد التعرف علىٰ ذلك يجب العمل علىٰ إبطال ما يبيتون بالاستعداد، ونشر الوعي، والانتباه علىٰ سلامة الصف الداخلي»!!

ويتحدث صاحب كتاب «**خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية**»[٣٨] عن كيد الأعداء للأمة ويحض الشباب المسلم علىٰ قراءة الكتب التي تتحدث عن ذلك فيقول ص١٠٢: «وقد ألفت والحمد لله عدة مؤلفات تبين كثيراً من هذا الدس الخبيث قديماً وحديثاً وأذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر ليستنير بها دعاتنا الكرام، وعلماؤنا الأفاضل في حربهم للأعدائهم «التبشير والاستعمار، والغارة علىٰ العالم الإسلامي(!)، حصوننا مهددة من داخلها، وفي وكر الهدامين، وبروتوكولات حكماء صهيون(!)، اليهودي العالمي، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» هذا بالإضافة إلىٰ كتب الجاسوسية الأمريكية(!!)، وفضائح المذابح الشيوعية وحرب الإبادة للمسلمين في بلادهم، ومنشوراتهم الرهيبة لحرب الإسلام والمسلمين. إن هذه المعرفة

---

(٣٧) الشيخ محمود شاكر.

(٣٨) الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق!

بهؤلاء الأعداء ستنير لنا[39] الطريق وتوضح لنا معالمه، وبذلك نأمن في مسيرتنا نحو النصر هذه الأفاعي الخبيثة المبثوث بعضها في طرقنا بل وفي بيوتنا وداخل حصوننا»!! ويقول صاحب كتاب **«بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية»**[40] ناصحاً المسلمين في ص٦٥: «علينا أن نستفيد من الغرب في مضمار العلوم والصناعات والأبحاث العلمية والفنية التي لا تقوم إلا علىٰ التجارب العملية والحقائق العلمية والجهد الإنساني فحسب بكل حرية وسعة صدر، ثم نضع هذه العلوم والوسائل مع الذخائر الطبيعية التي تفيض بها أرض عالمنا الإسلامي في خدمة الأهداف السامية التي منحها إيانا الكتاب الأخير والنبوة الأخيرة، وبهذا الجمع بين الوسائل والغايات نكون خير أمة كما دعانا القرآن الكريم».

فهذا هو الفهم الصحيح لفقه الواقع علىٰ ضوء الكتاب والسنة رغم أنوف المعارضين!! ونحن إذ نقرر هذا الأمر لا نتجاهل ولا نقلل من شأن العقيدة في بناء الأمة فهي أصل الإيمان والفرقان بين أهل الحق وأهل الكفران وأنها السبيل لنصر الأمة، ولكنها تمثل جانباً وليس كل الجوانب ألا وهو الجانب الروحي[41] ولكن هناك أموراً أخرىٰ كما أسلفنا قبل قليل

---

(٣٩) قال (موشي ديان) يوماً لقومه من اليهود، وقد لاموه علىٰ بعض تصريحات تكشف عن أطماعهم وتطلعاتهم، وقد خشوا أن يقرأها العرب، ويكشفوا خططهم، قال لهم: «اطمئنوا فإن العرب لا يقرأون»!! «أين الخلل» ليوسف القرضاوي.

(٤٠) د. أبو بكر أحمد السيد.

(٤١) **ولا شك أنه أهم الجوانب علىٰ الإطلاق.**

يجب أن نجتهد في سبيل تحصيلها وهي جانب أيضاً لا يمكن أن تقوم الأمة بدونه! فالقضية متساوية. أما (هؤلاء الدعاة).. دعاة فقه الواقع! هل استغرقتهم الأحداث عن دراسة عقيدتهم والتفقه في دين الله؟! والجواب بالطبع نعم!!! لأن أحد (هؤلاء الدعاة) والحق يقال يرأس قسم العقيدة في أحد الجامعات ويقوم بتدريس (العقيدة الطحاوية) حتىٰ بلغت أشرطة دروسه هذه ما يقرب (٣٠٠) شريط!

وبقية (هؤلاء الدعاة) يسد جانب من جوانب العلم الشرعي ولكن..

ولكن هل المسلم ملزم عندما يدرس العقيدة ويتعلم الحد الأدنىٰ لما يجب معرفته منها أن يدرس العقيدة الطحاوية والواسطية والتدمرية والإيمان لابن منده وشرح أصول السنة.. الخ بل الواجب عليه أن يتعلم الحد الأدنىٰ الذي يجب معرفته منها ويكفيه!!

وأخيراً أظن أنه قد ظهر الحق في قضية (فقه الواقع) والحمد لله أولاً وأخيراً.

٥ ـ وماذا عن العلمانية

يعترض الكاتب حفظه الله علىٰ (هؤلاء الدعاة) بسبب إنشغالهم العاطفي والحماسي في التحذير من العلمانية حيث يقول: «هل دراسة الأهداف العلمانية من أسس فقه الواقع»[١] ويقول: «ألم تتنبهوا لهذا وتستيقظوا لشرِّه في غمرة تحذيراتكم المتوالية من شر (العلمانية) و. . .»[٢] فالكاتب هداه الله يريد منا أن ندع العلمانيين يفعلون ما يشاؤون في الأمة ونفتح لهم الباب علىٰ مصراعيه ولا نأبه لمكرهم لأن «سبيلنا هو سبيل (السلف) فلن يضرنا ـ بعد ـ ما يصيبنا منهم أو من غيرهم»[٣]!! إذن علينا أن نخلي لهم الساحة يسرحون ويمرحون في تدمير العباد والبلاد حتىٰ يصدق فيهم قول الشاعر:

خلا لك الجو فبيضي وأصفري وخربي ما شئت أن تخربي!

والله إني لأعجب من أمر هذا الكاتب وشيعته، فإن اهتم (هؤلاء الدعاة) بالدفاع عن الأمة من الذين يسعون لتدميرها «من الخارج» فيقول هذا جهل وحماسة ولهو فارغ!؟ وإن تصدىٰ (هؤلاء الدعاة) للذين يسعون

---

(١) فقه الواقع بين النظرية والتطبيق (ص ـ ٤٠).

(٢) رؤية واقعية (ص ـ ٩٢).

(٣) المصدر السابق (ص ـ ٩٣).

لتدمير الأمة في الداخل «**والذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قال هذا إنحراف وبعد عن الجادة، **فإن تعجب فعجبٌ قولهم!! فماذا على الدعاة أن يفعلوا إذن!؟؟** ولماذا لا نتصدى للعلمانيين أليست العلمانية تعني **اللادين**.. أي ضد الدين، فكيف نفسح المجال لأعداء الدين ليعثوا في الأمة الفساد؟

أقول ألا نتصدى لهم وهم الذين يسعون لتشويه صورة الإسلام وأحكامه[٤]، والذين يطالبون بإبعاد شريعة الله من بلاد المسلمين، والذين يريدون للمرأة عندنا أن تخرج عارية سافرة لتزاحم الرجال بحجة أنها مظلومة ويجب مساواتها بالرجل[٥]، أقول كيف نتركهم يدمرون أبناءنا ويستخدمون البيت[٦] والمدرسة[٧] والشارع و«**الحكم**»! لإفسادهم عقائدياً وفكرياً واجتماعياً!! ولكن المؤلف هداه الله يريدنا أن نجلس في مساجدنا

---

(٤) يراجع كتاب «غزو من الداخل» جمال سلطان.

(٥) يحاول العلمانيون في الكويت لإعطاء حق المرأة لترشيح نفسها في إنتخابات مجلس الأمة!

(٦) عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، ومنها الـ MBC العربية الإسلامية!!

(٧) يقول أحد المبشرين: «يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي (العلماني) لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع إعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية» ويقول آخر: «ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشىء لهم المدارس (العلمانية) ونسهل إلتحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب»!!

ويراجع كتاب قادة الغرب يقولون «دمروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص - ٧٣).

نعلم أولادنا العقيدة ونترك العلمانيين يهدمونها ويفسدونها في الليل والنهار وفي طول البلاد وعرضها!! فهل أمر النبي محمد ﷺ بذلك؟! وهل عندما هاجر إلىٰ المدينة وكان أهلها حديثي عهد بالإسلام وكانت تعجُّ باليهود والمنافقين، فهل قال علينا أن نعلم الناس عقيدتهم لأنهم محتاجين لذلك، وترك اليهود والمنافقين يفعلون ما يشاؤون وقال إن ربي ليكفينيهم!! أم أنه أوقف اليهود عند حدهم وأفشل دسائسهم ورد مكرهم بل وأخرجهم من المدينة خاسئين!! ومن ثم قام بفضح المنافقين ورد حججهم وما يثيرونه من شبه حول دعوته عليه الصلاة والسلام، والمطلع علىٰ سيرته ﷺ يعلم هذا جيداً، ولكن الكاتب غفر الله له يعتبر هذا حماسة وطيش!! فالله المستعان وعليه التكلان! ثم نترك العلمانيين المنافقين يهاجمون[8] أخواننا من أبناء أمتنا ويكيلون لهم سيلاً جارفاً من الاتهامات الباطلة كقولهم أن هؤلاء مجموعة من المتطرفين الأصوليين الذين يشتهون للوصولَ إلىٰ الحكم وهذا همهم الأول والأخير وأنهم وبالاً علىٰ الأمة، وأنهم ويستهبلون السذج والمحتاجين والفقراء لتحقيق مآربهم!!! وغيرها من التهم الشنيعة، بالإضافة إلىٰ تحريض الشعوب عليهم وتنبيه الطواغيت لضربهم وهم بذلك يسيرون علىٰ المخطط العالمي لضرب الإسلام متمثلاً بالإسلاميين في كل مكان!؟ أما نحن فعلينا الاعتكاف في مساجدنا ولا نذود عن سمعة إخواننا وعن سمعة الإسلام أصلاً! لأن هذا يعتبر إلهاءاً لنا، فنحن ما زلنا محتاجين لنتعلم كيف نرد! لذا علينا الإلتزام بالصمت وإذا سألنا سائل! ما لكم

---

(٨) كما حدث في أحداث الجزائر.

لا تدافعون عن إخوانكم أوَهبلتم!! فنحمه ونسكته ونقول له بلسان رجل واحد «في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء»!!!؟ وإذا أردنا أن نلقي نظرة على رقعة العالم الإسلامي لنرى ما يحيكه العلمانيون لإفساد أبناء المسلمين فلنولي وجوهنا شطر الكويت مثلاً، يقوم العلمانيون بعملية ماكرة من ضمن مئات الأساليب والخطط لإفساد أبناء المسلمين وذلك بدعوة طلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة لمشاهدة ألعاب السيرك في أحد الأندية!! ويقومون بإغرائهم بشتى الطرق ومن ذلك خصم نصف قيمة تذكرة الدخول بل قاموا بإغراء بعض الشباب بدفع ديناراً مجاناً لمن يذهب ليشاهد السيرك[9]!!! وأعتقد أنه لا حاجة لمعرفة ما يدور داخل خيمة السيرك؟؟! ثم يأتي الكاتب غفر الله له ليقول أن التصدي لهؤلاء المنافقين تضييع للوقت الثمين فرحمة الله وبركاته على أمة الإسلام والمسلمين.. والسلام!!

---

(٩) يقول أحد المبشرين: «لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه!! وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه(!) لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على «القادة والزعماء في العالم الإسلامي» (!!) وعلى الشباب منهم خاصة(!) كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني»!!!؟ «قادة العالم يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص - ٧٤).

٦ ـ ماذا عن الاخوان..؟

يعقب صاحبنا الكاتب بارك الله فيه! علىٰ «دعاة أهل السنة» بسبب تلميعهم للمبتدعة حينما يقول: «وهي من فواقر (هؤلاء الدعاة) فإنهم مع اعترافهم (الإجمالي) بفضل العلماء السنيين، ودعاة الحق السلفيين، يلمعون بعض أهل البدع ممن انتشر صيتهم واشتهر ذكرهم. بإضفاء هالات الثناء علىٰ أسمائهم، وبإسباغ أوصاف التبجيل علىٰ ألقابهم: فيقولون: (فلان) الإمام الشهيد [عجباً!!] ويقولون: فلان (حامل راية التجديد)[1] هكذا!!؟، ثم يسبح الله مستهجناً هذا البعد الخطير عن المنهج الحق والسبيل القويم!! حين يقول: «سبحان الله! كيف أممتم هذا؟ وعقيدته معروفة، وصوفيته مشهورة. . وكيف جددتم ذاك وعقلانيته في معالجة النصوص مشهودة، وعصرانيته في فهم الدلائل معهودة»[2] هكذا!!؟، ولن نحتاج إلىٰ كثير عناية كي نعرف من هم المقصودون هنا فالأمر واضح لكل ذي عينين، ونذكر واحداً منهم وهو **الإمام الشهيد**[3]! «**حسن البنا**» رحمه الله، وهنا نقول للكاتب الفاضل هل من الخطأ والبعد عن نهج السلف أن نذكر الإمام حسن البنا، وإذا لم نستشهد بأمثاله فبمن إذاً!؟ ثم ألا يمثل هذا الإمام جزءاً عظيماً في مسيرة الحركة الإسلامية

---

(١)(٢) رؤية إسلامية (ص ـ ٧٣).

(٣) رغم أنوف المعترضين!!

المعاصرة[٤]! ثم لماذا أخي الكاتب هدنا الله وإياك لا تعدل في ذكر مناقب هؤلاء؟!، أوليس من منهج السلف إذا ذكرت رجلاً وجئت بسلبياته أن لا تنسىٰ ذكر حسناته! فلماذا تحاول ذكر العيوب والبحث عن الأخطاء وفقط!؟ ولا تذكر الحسنات لهؤلاء، أوليس لهؤلاء حسنات أبداً، فحياتهم كلها أخطاء في أخطاء!!؟[٥] ثم من يسمع كلام الكاتب غفر الله له عن الإمام حسن البنا رحمه الله في قوله عنه ذات عقيدة معروفة وصوفية مشهورة.. أقول من يسمع كلامه هذا يظن أنه يتكلم عن **ابن عربي أو البسطامي أو الحلاج!!!** فما هي عقيدته المعروفة!؟ **أهي عقيدة وحدة الوجود أم عقيدة المعتزلة والجهمية..!!؟** فهل يعتقد كما «**نعتقد**» إلا مذهب السلف، أم لأنه وقع في تأويل الصفات فصار بذلك مبتدعاً؟!.. وأعتقد أن الكاتب لا يخالفنا في أن مؤولة الصفات مبتدعة!! فمعنىٰ هذا أنه لا يحق لنا أن نرفع ونعلي ونذكر ونمدح ونشهر «**الإمام النووي والإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام ابن حزم الأندلسي** لأنهم قد وقعوا **في تأويل الصفات**، ومعنىٰ هذا أيضاً **أن شيخ الإسلام ابن تيمية** قد قال بفناء

---

(٤) يقول ابن قيم الجوزية: «من له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته (وأمامته) ومنزلته في قلوب المسلمين» إعلام الموقعين الجزء (٣) ص(٢٨٣) طبعة دار الجيل.

(٥) يقول أحد التابعين: «ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتم خيره»! ويقول أحد التابعين أيضاً: «لو أصبت تسعاً وتسعين وأخطأت واحدة، لأخذوا الواحدة وتركوا التسعة والتسعين»!!.

النار وتبعه تلميذه «القيم» ابن القيم الجوزية في ذلك بالإضافة إلىٰ أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: «بتسلسل الحوادث إلىٰ ما بداية له، وبتسلسل الحوادث إلىٰ ما لا نهاية» فهل يعني هذا عدم ذكره وإشهاره لأنه ابتدع بالعقيدة ما ليس فيها، ثم أليست دعوىٰ الكاتب هذه إلىٰ عدم الاعتراف بمن «وقع في الخطأ» في باب العقائد يعطي المجال لأهل «**الضلال**» الحقيقين للتهجم علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية بحجة أنه «مبتدع» قد خالف إجماعاً قطعياً[٦]!!، ألا يعلم الكاتب بأن كل إنسان إلا وله زلات، وأنا أتحدىٰ من يقول بأن الإمام **حسن البنا رحمه الله** يعتقد غير مذهب السلف، ثم ألا يتقي الكاتب الله عند ذكره للدعاة المسلمين خصوصاً وهو يتحدث عن رجلٍ ليس موجوداً علىٰ ظهر الدنيا من سنين طويلة، **ألا فالتتقوا الله في موتاكم وتحسنوا ذكرهم**، أهكذا تذكرون رجلاً تكالب الشرق والغرب للتخلص منه، ودقت أجراس كنائسها فرحاً باستشهاده! أما آن لكم أن تغيروا من أسلوبكم هذا في تقويم الرجال..! ألا يصلح تقويمكم إلا بالتجريح والتنقيص! ثم أليس التحدث عن (**هؤلاء الدعاة**) بهذه الطريقة دعوة «للسلفيين» بالطعن في (**قيادات الإخوان**) وسبهم واحتقارهم وأنتم بالطبع **قدوتهم في ذلك!؟**، **ألم يعلم الكاتب أنه بطريقته هذه سيوجد البغضاء والشحناء بين المسلمين ويساعد علىٰ توسيع الشقة والهوة بين أبناء الجماعات الإسلامية؟!** أهذه هي دعوة **السلف في الإصلاح!!؟**.. أهذه هي آصرة الأخوة التي تقول إنها أول

---

(٦) كما يزعمون ويدندنون.

لبنة في بناء جماعة المسلمين، فكم فتحتم من باب للخلاف، وكم ستفتنون من شباب لا يفهم هذا الكلام وسيفرح به ويروجه هنا وهناك والرسول ﷺ يقول: «**ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**»[7] **ثم نتساءل..؟ أليس بتحدثكم علىٰ الدعاة هكذا، سيفتح باباً واسعاً لكثير من الشباب إلىٰ عدم احترام لا أقول (الدعاة) بل العلماء الأجلاء الكبار، وسينتقصون منهم جملة*!! فالله المستعان وإليه المشتكىٰ!**

ثم يتمادىٰ الكاتب هداه الله ويقول: «كفوا عن الالتقاء في «وسط الطريق» مع مثل (هؤلاء الدعاة) والمفكرين جميعاً بين المتناقضات وتوفيقاً بين المتضاربات وتجميعاً للشتات»[8] **هكذا!!؟** ثم يقول أما تاريخهم المشهود وتراثهم المكتوب: فهو مثقل بألوان المخالفات: العقدية والفقهية والفكرية حتىٰ السياسية»[9] **عجيب!!؟** سبحان ربي وعجباً لهذا الكاتب المنظر فلماذا لم يكمل كلامه ويقول أنهم في نار جهنم خالدين فيها!! وينهي القضية!!؟ أقول عجباً لهذا الإنصاف العجيب **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم علىٰ ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ﴾ هل تاريخ هؤلاء كله متناقضات ومتضاربات، بالإضافة إلىٰ المخالفات العقدية والفقهية والفكرية والسياسية!!! فوالله لو كان هذا الكلام موجه «للشيعة» [جملة] لكان هضماً للحق!!!!** فكيف بـ(هؤلاء الدعاة)، أليس تاريخهم يشهد بنضالهم

---

(٧) رواه مسلم.

(٨) رؤية واقعية (ص - ٧٤).

(٩) رؤية واقعية (ص٧٦ - ٧٧).

* وهذا هو الواقع والمشاهد.

وجهادهم في سبيل الله وبمقارعتهم لليهود في فلسطين وبمجاهدتهم العلمانيين والشيوعيين، وبدعاتهم الذين هم في كل مكان منتشرون، وبنصرة إخـوانهم المسلمين سائرون نقول هذا مع **اعترافنا بأخطائهم الكثيرة!!**.. ولكن مع ذلك نذكر ما لهم من الحق، ولكن لا نستخدم طريقة الكاتب الشاذة في الإصلاح هذه التي تفسد ولا تصلح، تزرع الشر ولا تأتي بخير!!.. ثم يقول الكاتب: «أكتب هذا الكتاب راجياً أن تسعه القلوب وتستوعبه العقول وتتقبله النفوس»[10]**! سبحان الله! هل الكلام السابق ستسعه القلوب وستتقبله النفوس.. كيف ولا نجد فيه نوع إنصاف أو أسلوب أدب أو حقيقة إصلاح!!**.. وأخيراً إذا كان الكاتب ما زال عاتباً علىٰ (هؤلاء الدعاة) فنقول له ليعتب قبلها علىٰ «**العلماء السنيين**» لأنهم أيضاً يلمعون «أهل البدع»! ويشهرونهم وإذا أراد الكاتب التأكد فيطرح هذا السؤال علىٰ علمائنا السنيين!؟

وأخيراً: نقول للكاتب:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الأذىٰ ... ودينك موفورٌ وعرضك صين

فلا ينطقن منك اللسان بسوأة ... فكلك سوءات وللناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدىٰ ... **ودافع ولكن بالتي هي أحسن!**

---

(١٠) رؤية واقعية (ص ـ ٢٩).

٧ ـ وماذا عن السلفيين..؟

تحدث الكاتب حفظه الله في الفقرة السابقة عن (هؤلاء الدعاة) وذكر أنهم يلمعون أهل البدع وأن هذا ليس من منهج السلف وأنهم يطبعون دعوتهم بطابع حزبي وأنهم يمدحون أنفسهم ويعتدون على العلماء وغيرها من الاتهامات، ولكن ماذا عن الدعاة **السلفيين**[1] الذين ينتسب إليهم الكاتب عفا الله عنه، هل هو خالٍ من العيوب والنقائص والبعد عن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم **أم أن فيه ثمة انحراف عن المنهج القويم!؟** ولنرى ذلك. . !؟

يقول الكاتب: «والثابتون على منهاج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك، فقيل لهم **السلف و السلفيون** والنسبة إليهم «**سلفي**»[2]! فإذاً كل من ينسب نفسه لمنهج السلف ويتسمى بـ«**السلفي**» يدخل في هذا الوصف، وعلى هذا فالذين سنتحدث عنهم الآن هم «**السلفيون**»، فنقول: أن السلفيين واقعون بالحزبية والتكتل الحزبي والأدلة على ذلك معروفة وليست بالأمر الغريب على من **يعيش وسط ركام العمل الإسلامي!!** فمن يدقق في كلام الكاتب غفر الله له يرى آثار التحزب

---

(١) أقصد المنتسبين (حزبياً للمنهج) وليس كل من اعتقد منهج السلف.

(٢) رؤية واقعية (ص ـ ٢٦).

واضحاً فهو ينسب منهج السلف لنفسه وشيعته! ويبعده عن غيره حتىٰ لو كان من أهل السنة! وي كأن حديث (الطائفة المنصورة) يقصده هو وشيعته!! ومن ذلك أيضاً أن المنتسبين للسلفية يمنعون أحداً من العمل معهم أو التعاون معه إلا أن يكون من ضمن إطارهم الحزبي[٣]، ومن ذلك أيضاً إنتقاد فضيلة العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله لجماعة السلفيين في الكويت لتحزبهم!! ولعل الكاتب يقول ولكن (هؤلاء) لا يمثلوننا، فأقول أليسوا من المنتسبين لمنهج السلف والنسبة إليهم سلفي!!؟

ولا بد أن نشيد بموقف السلفيين[٤] العظيم تجاه إخواننا في الجزائر فإن لهم موقفاً لا يحسدون عليه فلم يعجبهم من جهاد الإسلاميين في الجزائر في سبيل نشر دين الله، وإعلاء كلمته ولم يلفت إنتباههم سوىٰ الأخطاء!! فيقولون: المظاهرات حرام ودخول البلديات باطل وفقط! أما أن ينصروهم بالوقوف إلىٰ جانبهم والدفاع عن سمعتهم فلا، ويا ليتها توقفت عند هذا بل إتهموهم بتهم لم نسمعها من أعدائهم ومن ذلك الترويج بأن الشيخ عباسي مدني «رئيس جبهة الإنقاذ» ما هو إلا «مرتزق»!!! يأخذ الرشاوي ويقبض الأموال من جهات متعددة، ويخبرني أحد الثقات

(٣) كما في «جمعية إحياء التراث الإسلامي»!

(٤) ولا أنسىٰ هنا أن أذكر موقف العلامة الألباني في مؤازرته للإسلاميين في الجزائر وذلك عندما قام بإرسال رسالة يشد فيها من أزرهم ومناصرتهم وقد قُرئت من علىٰ منابر المساجد هناك.. وأخبرت بعد ذلك بأن العلامة بن باز قام بمثل ذلك فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

أنه كان باستضافة جمع من الشباب السلفي في إحدىٰ البيوت فجاءت سيرة الجزائر وإمكان تُسلم الإسلاميين فيها السلطة فأخذوا يتناقشون أيهما أفضل للإسلام والمسلمين إذا وصل «الإخوان»[٥] إلىٰ السلطة أفضل أم إذا بقيت في يد الحكومة الحالية!!!! سبحان الله لا قوة إلا بالله!!؟ فأقول لهؤلاء أنتم والله بدعوتكم وجماعتكم وأنشطتكم ومراكزكم وجمعياتكم لم تثيروا إنتباه (رجل شرطة واحد) أتتحدثون هكذا عن الإسلاميين في الجزائر والذين تابع العالم كله أخبارهم باهتمام وتآمر ضدهم!!! فوالله لا يدل هذا إلا علىٰ زبالات من الأخوة الحزبية الضيقة الممقوتة ويهلك الحب في الله، ويحصد الأخوة الصادقة!! فهل بمثل هذا يرجع المجد؟! وهل بمثل هذا تكون الدعوة؟! وهل بمثل هذا ترشد الصحوة[٦]؟!!!، ثم نقول لإخواننا السلفيين أنتم مختلفون في سلفيتكم هذه ولم تستقروا بها علىٰ قرار، فبينما قسم منكم يحرم (الجماعة) ويعد ذلك خروجاً علىٰ منهج السلف، نجد قسماً آخر يقول بأن (الجماعة) أمر لا بد منه في الدعوة السلفية ويُوجبها! وبينما فئة منهم تحرم دخول المجالس والبرلمانات ترىٰ فئة أخرىٰ إباحتها، وتعد أن هذا من فقه الدعوة ثم ترىٰ جماعة منهم تقول أن الوجود الأمريكي مؤامرة وفئة أخرىٰ ترىٰ أن الوجود الأمريكي تسخير من رب العالمين!!؟ والحقيقة لقد ذبحتم السلفية من غير سكين باختلافاتكم هذه ويبدوا أنكم اتفقتم علىٰ ألا تتفقوا!! ولعل قائلٌ يقول

---

(٥) والحقيقة لست أدري بالمقصود بالإخوان هنا هل هم (جماعة الإخوان المسلمين) أم يقصدون «جبهة الإنقاذ الإسلامية» ولكن النتيجة تبقىٰ واحدة!!

(٦) رؤية واقعية (ص ـ ٣٦).

هذه الخلافات التي ذكرت لا تعدو سوىٰ اختلافات هامشية وفرعية، فأقول (وهذا ما أريد التوصل إليه) فما هي إذن الخلافات في جلها التي ذكرها الكاتب هداه الله منتقداً بسببها (**هؤلاء الدعاة**) والذي يسميهم أصحاب الدعوات الحادثة!؟ أهي اختلافات في **الأصول**!!؟ فإذا كانت فرعية في مجملها فعليه إذن أن يفرغ طاقته هذه في المتسبين للمنهج السلف والنسبة إليهم **سلفي**!! أولاً، ومن ثم يبدأ في البحث عن غيرهم.

أما عن تعدي (الكثير) من المنتسبين (للسلفي)! علىٰ الدعاة والعلماء فحدث ولا حرج، فبالإضافة لتعديهم «**المباح شرعاً**» علىٰ قيادات الجماعات الإسلامية!!؟ فإنهم أيضاً ينتقصون من كبار العلماء!! ولقد سمعت بأم أذني تعدي بعض السلفيين علىٰ **العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله بكلام شديد بحجة عدم إباحته الاستعانة بالصليبيين!!!** ولنضرب علىٰ هؤلاء مثالاً: كتب أحدهم **مقالة**[7] يتحدث فيها عن موقف السلفيين من الغزو العراقي علىٰ الكويت وأخذ يذكرهم فئة تلو أخرىٰ فمن الخليج إلىٰ الشام إلىٰ السودان والفلبين وأندونسيا والباكستان و. . الخ حتىٰ لعله لم يترك موقعاً فيه للسلفيين جبهة إلا وذكرهم وقال أنهم جميعاً وقفوا في صف الكويت وأنهم وأنهم حتىٰ قال: «**ولم يشذ منهم إلا الشيخ الألباني**» سبحان الله، لم يشذ منهم إلا الشيخ الألباني. . !!؟ (إيش هذه يشذ!) أهذه كلمة تقال عن علامة عصره!! كأن صاحب المقالة يظن

---

(٧) وذلك في جريدة القبس، ولكن مع الأسف لم أستطع تحديد العدد أو تاريخ نشرها.

أنه يروي حديثاً قد خالف ما هو أوثق منه ولهذا الشيخ الألباني شاذ لأنه خالف من هو أوثق منه!!!؟ . . والصراحة التي يجب أن تقال وهي: «أن الله أوجب الاستعانة بالكفار بالنصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة! فأصبحت قضية معلومة من الدين بالضرورة وأجمعت عليها الأمة!!؟ ولكن المدعو «الألباني»!!؟؟.قد شذَّ عن الأمة ورد صريح القرآن والسنة وخرق الإجماع فحرم الاستعانة!!!! فرحمة الله وبركاته علىٰ أمة التوحيد!!؟

وهذا نموذج فريد في التعدي علىٰ خيرة علماء الأمة والانتقاص من قدرهم، والعجيب في الأمر أن صاحب المقالة كاتبٌ دوري في إحدىٰ مجلات السلفيين! وكان قد مدح الألباني بل أفرد له كتابٌ يذود به عنه[٨] ولكنه انقلب علىٰ رأسه بعد «أزمة الخليج» ولكن:

ما يضر البحر أمسىٰ زاخراً   أن رمىٰ فيه غلامٌ بحجر!!

وأخيراً: هل سمع أحد رجلًا يدعي منهج السلف الصالح، يضرب ويتغنىٰ علىٰ وتر الوطنية منتصراً لها ويعترف بأنه عاشق لوطنه!! بل وينتقص ممن ليس من «وطنيته»!، حتىٰ لكأن أهل الوطنية أنفسهم يتكلمون بكلام أخف وطأة علىٰ اللسان من هذا البائس!! فهذه هي الحقيقة المرة فقد استمعت لشريط مسجل في حفل لإحدىٰ مراكز (السلفيين)[٩]!!؟ يتحدث فيه هذا المذكور في أمسية شعرية أمام جمع من

(٨) وهو كتاب «كلمة حق في الدفاع عن علم الأمة محمد ناصر الدين الألباني»!!

(٩) وهي «جمعية إحياء التراث الإسلامي»!!.

أصحابه وأشياعه. . كبيرهم وصغيرهم! ويتغنىٰ بوطنيته وسط مديحهم ورضاهم!! وسأضطر لذكر بعضاً من شعر هذا «الوطني» للقارىء والتي يسميها. . «سفاهات»!!!. . أقصد «زهيريات». . وقبل أن يبدأ هذا «الشاعر»! زهيرياته! يقدم له أحدهم فيقول: «الشعر أيها الإخوة جانبٌ من جوانب الدعوة إلىٰ الله. . والذب عن عقيدة ونهج سلف هذه الأمة. . » والآن سنرىٰ هذا النوع الغريب من الشعر والذي يمثل جانب الدعوة إلىٰ الله والذب عن عقيدة ونهج سلف هذه الأمة!!، ولا بد أن أنبه علىٰ أن «الشعر» المذكور هو شعر «نبطي»! لذلك سأضطر لإيراده «مشكلاً» حتىٰ يسهل علىٰ القارىء فهمه يقول هذا الرجل العاشق لوطنه:

عَهْدِ الوَطَنْ يا وَلَدْ اكْتِبْ حُرُوفَهْ بِدَمْ
«حِتّيشْ» لُوْ عَذِّبَوْ «حِتّيشْ» لُوْنْ اعْدَمْ
فِدْوَةَ الوَلَدْ لأرْضَها فِدْوَةَ الأخو من دَمْ
إهْيىٰ أُمّنا وِعَرْضِنا وإهْيَ الذّرىٰ حَكّنا!!

ويقول في موضع آخر:

حُبّ البَلَدْ يَا الرَّبِعْ يَسْرِي مَعَ عِراقي
وَارِثْ أنا هَاالهَوَىٰ مِن أبْعَدَ عِراقِي
لَو هَدَّدوني بالقَتَلْ مَاصِيرْأناعراقي[10]!!؟
(عاشِقْ) أنَا هَالوَطَنْ بَحْرَهْ مَعَ أرْضَهْ!!

---

(١٠) كأن العراقيين أصبحوا يهوداً!!

وجـذْرِ (العِشِقْ) يٰا وَلَدْ مٰاتَاكلَةالأَرْضَهْ!!
أَرْضَىٰ يِضِيعْ العُمُرْبَس الوِطَنْ مَرضىٰ[11]!!؟
كُويْتِي أنَــا «أصــلْ» إفْهَمْني يٰا عِراقِي[12]

ثم يحسن أدبه واختياره للكلمات والتي تدل علىٰ الخلق الرفيع الذي يتمتع به حين يقول:

كِعِيبِرْ نِبَتْ مِنْ أَصِلْ أَوْطىٰ مِنْ «انْغالِي»!!!!

ولم يتوقف «بزهيرياته» إلىٰ هذا الحد، بل وينتقص ممن هم ليسوا من «جنسيته» ويعيب عليهم عدم وقوفهم إلىٰ جانبه وقت المحنة، ويدعو قومه إلىٰ نبذهم واحتقارهم بل وطردهم وإبعادهم، وقد عرفهم بـ«السبعة» أي السبع دول التي وقفت بجانب العراق، ومعلوم للجميع أن «رعايا»!، هذه الدول لا ذنب لهم سوىٰ أنهم يحملون جوازات سفر دولهم هذه، فيقول مشعلاً نار الوطنية والعصبية:

جازِي الـرِدِيْ بالـرِدَىٰ وصَـوتْ الـوَفِي يِنْـجَـابْ[13]
الـدُوني مَهْـمَا عَلىٰ يَبْـقَـىٰ وَطِي دُوني
وِينْ اخْـوتِي في «الرَخا» مٰا دافَعَوْا دُوني!

(١١) اللهم إنا نبرأ إليك مما يقول هؤلاء.

(١٢) فض الله فاه.

(١٣) ويقصد بهم الدول التي وقفت بجانب وطنه.

يَا مَا عَطِيّتْ (بِسَخـا)[١٤] واليُـومْ غادُوني!

حِنّا فِتَحْنـا الصَـدِرْ حَكّ الـرَّبِعْ يَاسِرْ!!

ويقول في موضع آخر:

إلا شَرَاذِمْ غَدِرْ بَاعُـوا ضِمايِـرْهُـمْ

بِيضٌ ضِمايِـرْنـا لِهُمْ سُودُ ضِمايِـرْهُـمْ!!

كَانُـوا مَعَـانا (بِرَخا) صُوبْ الضِمَايِرْهُم!!

غَنُّـوا عَلىٰ ذَبْـحِنْـا يا لِيلَة يا دَانَـهْ!!!

وبالطبع هو يقصد بهؤلاء كل من وقفت دولهم مع العراق وهم «السبعة» دول ويوضحها جلية حين يقول:

طَاحْ السِـتِرْ وانْـكَشَـفْ خُبْـثِ النِّـوايا

«سَبْعَةَ» ارْقِصَوْا مِنْ طَرَبْ يومْ دِنِّسَوْايالِي!!

ثم يحرض قومه بعدها مباشرة:

أَبْـدا تَخَابْ الـذِيِ يُومْ «الـرَخَا يَالِي!!»[١٥]

واليُـومْ أصْرُخْ ولا مَنْ يَا هَالـرَّبِـعْ نَصَّـارْ

---

(١٤) عن ابن ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم»، قلت من هم يا رسول الله، قد خابوا وخسروا؟ فأعادها ثلاثاً، قلت: من هم خابو وخسروا؟ فقال: «المسبل، (والمنان)*، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب أو الفاجر» صحيح أبو داود ج ٢ رقم (٣٤٤٤).

* أي المنان بما أعطىٰ!

(١٥) أي جاءني!

الـذي غَدَرْ «جِـيرتَـهْ» يا صَاحِبي عَادَهْ!!

لاتَأْمنَـهْ لُوْ«حَلَفْ»(!!)عِنْـدَهْ الغَـدِرْ عَادَهْ!!

كُلْ ما نِوَىٰ بِالْـوِفىٰ طَبْـعْ الـرَّدَىٰ عَادَهْ

والي نَصَر مَن ظَلَمْ[16] إقْـطَعْ حَبِـلْ وِدَّهْ

وِدَّهْ تَضِيـعْ الـبَـلَدْ وَيَنْمِحِي الاسِمْ وِدَّهْ

إقْـطَعْ ذِكِـرْ سِيرتِـه وجـافِي الـذِي يَوِدَهْ!!

ثم ينصح (. . . من؟) علىٰ أبعاده فيقول:

والي نِكَرْ «طِيبِنا» إحْرِصْ عَلىٰ ابْعَادَهْ[17]!!؟؟

وأعتقد أن هذا الكلام أوضح من يعلق عليه وعلىٰ القارىء «النبيه» أن يحكم علىٰ هذا الشعر الساقط من كل الوجوه ليقرر حقيقة «بعض» من ينتسبون إلىٰ منهج السلف الصالح[18] . . والنسبة إليهم بـ«السلفي»!! وأختم كلامي بقول سلمان الفارسي «رضي الله عنه»:

أبي الإسـلام لا أبـا لي سواه

إذا افـتـخـروا بقيس أو تميم!!

---

(١٦) ويقصد بهم طبعاً «**الدول السبعة**» ورعاياها والكلام واضح جدًّا!

(١٧) ومن أراد الشريط فليذهب إلىٰ الجمعية المذكورة ويطلبه من (رف) الأشرطة المحظورة!!

(١٨) زوراً!؟

٨ ـ التعدي على العلماء..!

يتهم الكاتب هداه الله (هؤلاء الدعاة) بأنهم بنتقصون من العلماء ويتهمونهم بما ليس فيهم، ويكفي للرد على هذا الزعم بأن العلماء «هم . . هم» أنفسهم قد ردوا هذه التهم عن (هؤلاء الدعاة) **بل قاموا بتزكيتهم . . !**

وأعتقد أن العلماء الإجلاء أدرى بالمشكلة من الكاتب نفسه، ولكن الكاتب بارك الله فيه . أبى إلا أن يحشر نفسه في هذه القضية محاولاً لصقها بـ(هؤلاء الدعاة) لحاجة في نفس يعقوب! !

وللتدليل أكثر على براءتهم مما ينسب إليهم هو ما ذكره صاحب «فقه الواقع مقوماته وآثاره» حيث شدد على هذه الناحية وذلك في بداية كتابه[1] وختام كلامه[2][3]، ولكن الحقيقة التي يجب أن تقال هي أن **(هؤلاء الدعاة)** عندما نبهوا إلى أهمية **(فقه الواقع)** سواء نبهوا العلماء أو طلبة العلم كانوا محقين وعملهم ليس بخطأ أبداً، **فهذا ليس تنقيصاً! فما أدراكم فلعلَّ**

---

(١) (ص ـ ٣، ٤).
(٢) (ص ـ ٧٢).
(٣) بالإضافة إلى كثير من كتب وأشرطت (هؤلاء الدعاة) فمن يراجعها يلحظ تشديدهم على هذه القضية.

أحداً منهم لمس قصوراً من بعض علمائنا من هذا الجانب! ومع منزلة علمائنا الكبيرة في نفوسنا وتقديرنا الشديد لهم، فهم ليسوا بمعصومين إذ يخطئون كمثل أي إنسان عاقل! وليس من الحق في شيء إن نطعن في أي شخص يذكر خطأ علىٰ علمائنا وخاصة إذا كان من أهل العلم والتقوىٰ وحسبنا به الخير والصلاح! وليس من العدل في شيء أن نرفع من مرتبة علمائنا إلىٰ درجة **العصمة**[٤]، بل هم يخطؤون.. وأعيد فأقول لعل أحداً من الدعاة لمس قصوراً في جانب فقه الواقع، ولعل هذا واقعاً حقاً يقول صاحب كتاب «**خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية**»[٥].. «إننا نريد علماء علىٰ مستوىٰ العصر علماً وثقافة وأدباً وخلقاً وشجاعة وإقداماً وفهماً لأساليب الكيد والدس علىٰ الإسلام»[٦] ويقول: «لو وجد هذا الصنف من العلماء فإنه سيكون الرباط القوي الذي يحزم هذه الأمة المفككة في رباط تشريعي وخلقي واحد» ثم يبين أن هناك من العلماء من عنده قصور بما هو واقع حوله ويضرب مثالاً حيًّا شاهده هو بنفسه بقوله: «لقد كان يدرس لنا التفسير[٧] وأصول الفقه عالم جليل هو بحق عالم فما كان يطرق آيةً من كتاب الله حتىٰ يشرح أولاً ألفاظها اللغوية مستشهداً بعشرات الأبيات علىٰ اللفظة الواحدة، ثم يذكر تعريف كلماتها ثم معانيها الكلية ثم تفسير السلف لها مستدلاً بالأحاديث والآثار ثم ما يستفاد منها من

---

(٤) كما يبدوا ذلك واضحاً في شريط «البراءة مما جاء في شريط ففروا إلىٰ الله»!!

(٥) وهو الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق!

(٦) المصدر السابق (ص٧٦ - ٧٧).

(٧) ومعلوم أن الشيخ قد درس في السعودية.

أحكام فقهية ثم ما استنبط منها من قواعد أصولية ثم بين ما يماثلها من آيات أخرىٰ في كتاب الله[8]. يطرق كل ذلك وأنت مشدوه لسعة هذا العلم وهذا الاطلاع. ولكن هذا الرجل لم يكن علىٰ شيء من مستوىٰ عصره، فما كان يدرك جواب شبهة يوردها عدو من أعداء الله ولا كان علىٰ استعداد أصلاً لسماع هذه الشبهة، وكان يهجم علىٰ حقائق العلم المادي فيرمي الذين يحلِّون الوصول إلىٰ القمر بالكفر والزندقة ويزعم أن المحاولين لن يستطيعوا ذلك ويقول: الأيام بيننا!!

فأقول: سيدي الشيخ لا تكن كمن قال الله فيهم: ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**﴾ شيء لم ندرسه ولم نتعلمه فلماذا نكذب به، ونقحم دين الله فيه فيكفر الناس بديننا ظنًّا منهم أنه يأمر بما تقول أنت به. فنكون بجهلنا صادِّين عن دين الله عز وجل! لقد كان هذا الرجل الذي لم تقع عيني علىٰ أعلم منه بكتاب الله مكتبة متنقلة ولكنها طبعة قديمة تحتاج إلىٰ تنقيح وتصحيح»[9]!!؟ ولم نورد هذا الكلام ليفهم أن المقصود هنا هؤلاء **العلماء حاشا وكلا! ولكن هل يمكن حصول هذا القصور في فقه ما يدور في عالمنا؟، فليس هذا بحد ذاته طعناً أو إنقاصاً أو قدحاً في علمائنا بل لعله تنبيهٌ لهم للاهتمام بكل أمر فيه مصلحة للدعوة والأمة والسلام!**

---

(٨) وليس كما يقول أحدهم القضية علم شرعي وفقط.

(٩) المصدر السابق (ص ـ ٧٨).

٩ ـ تكفير الحكام.. !!

بالنسبة لموضوع «التكفير» فهو موضوع شائك وخطير وما كنا نريد الدخول فيه وبما أن الكاتب قد خاضه بثقة متهماً غيره بتكفير الحكام!؟ كان لا بد من توضيح أمور في صدد هذا الموضوع وعلىٰ هذا نقول: لا بد من وقفة مع الكاتب في صميم موضوع «تكفير الحكام» والحقيقة أنني لا أدري لماذا يحشر الكاتب نفسه في موضوعات لم يستوعب أبعادها ولا مفهومها! سنرىٰ ذلك:

يقول الكاتب حفظه الله: «فخرج علىٰ بعض الدعاة بتكفير ذي ثوب جديد ولبوس مزخرف (تتقبله) تلك النفوس العاطفية، وتستسيغه تلك الآذان الحماسية فلا تمجه ألا وهو تكفير الحكام «جملة» لأنهم (لا يحكمون بما أنزل الله»[1]! وهنا الكاتب يقرر بل من أول الكتاب إلىٰ آخره أن هؤلاء دائماً وأبداً وفي كل أمر يقولوه هم **حماسيون وعاطفيون!!** فلست أدري ما دخل العاطفة والحماسة بالأحكام الشرعية، فهب أن الحكام أعلنوا جهاراً نهاراً أنهم كافرون بحكم الله ورسوله فلا يجوز إذاً تكفيرهم لأننا نكون بذلك حماسيين وساذجين!! ثم تراه حريصاً جدّاً علىٰ عدم ذكر كلمة **«الكفر»!**

---

(١) رؤية واقعية (ص ـ ٨٩).

فيقول: «وليس من شك عند كل من (يفقه) حقيقة هذا الدين أن «الحكم بغير ما أنزل الله» جرم بين، وضلالٌ عريض، وانحراف عن الإسلام سحيق»[٢] عجباً!!؟ فهو هنا تراه حريصاً جدّاً علىٰ ألا يذكر كلمة (الكفر) فيصف (الحكم بغير ما أنزل الله) **بالجرم والضلال والانحراف** ولكن لا يوصفه **بالكفر!** مع أن قول الله سبحانه أوضح من الشمس: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولٰئك هم الكافرون**﴾!! ولكن يبدو أنه خشي أن يكفر (**الجملة الإسمية**)!!!!.. ولكن ماذا يقول أعلام الإسلام في الحاكم الذي لم يحكم بما أنزل الله..؟ وقبل أن نعرف أقوالهم لا بد أن نعرف متىٰ يكون الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً مخرجاً من الملة؟.. وهو كفر الاعتقاد وهو أنواع:

أولاً: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله.

ثانياً: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقّاً لكن أعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل.

ثالثاً: أن لا يعتقد كونه أحسن مں حكم الله ورسوله لكن أعتقد أنه مثله[٣].

الرابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم

---

(٢) المصدر السابق (ص ـ ٨٩).

(٣) قارن بمن يحكم بالقوانين الوضعية «مجرد مقارنة»!!

الله ورسوله، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه، ولكن أعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله[٤].

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات. فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات مراجعها كلها إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، **فلهذه المحاكم مراجع**[٥]، هي: «القانون الملفق من شرائع شتىٰ، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، **ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلىٰ الشريعة وغير ذلك**[٦].

«فهذه المحاكم في كثير من أمصار **الإسلام مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب**، يحكم حكامها بينهم بما يخالف **حكم السنة والكتاب**، من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه.

فأي كفر فوق هذا الكفر!!؟.. وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة»[٧]!! فيا معشر العقلاء! ويا جماعات الأذكياء

---

(٤) قارن بمن يحكم بالقوانين الفرنسية والبريطانية!

(٥) أين توجد هذه المحاكم في بلاد المسلمين أم في بلاد الكفر! مجرد سؤال!؟

(٦) (تحكيم القوانين) للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص ـ ١٨).

(٧) المصدر السابق (ص ـ ١٨).

وأولي النهىٰ. . كيف ترضون أن تجرىٰ عليكم أحكام أمثالكم وأفكار أشباهكم أو من هم دونكم، ممن يجوز عليهم الخطأ، بل خطأهم أكثر من صوابهم بكثير، بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصًا أو استنباطاً»[8] فيجب عليكم «**أن لا ترضخوا ولا تخضعوا ولا تنقادوا إلا** لحكم الحكيم العليم الحميد، الرؤوف الرحيم، دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات، واستولت علىٰ قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات»[9]!! «**فيجب علىٰ العقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط والأخطاء، فضلاً عن كونه كفراً بنص قوله تعالىٰ: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**»[10].

أما الكفر غير المخرج من الملة وهو كمن «تحمله شهوته وهواه علىٰ الحكم في القضية، بغير ما أنزل الله، **مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه علىٰ نفسه بالخطأ ومجانبة الهدىٰ**»[11] لا أن يلقي بحكم الله (جملة) وراءه ظهريا وينعت من يطالب بشرع الله **بالظلامية**، ولا من يصف حكم الله، **بالدكتاتورية والاستبداد ومحاربة الديمقراطية والتعددية ومصادرة حقوق الأحزاب**!! ولا من يستخدم جيشه وأسلحته **لإسقاط حكم الله بالقوة ويلاحق مطالبيها**!!، ولا من يقول أن **الحكم حق للشعب**

(٨)(٩) المصدر السابق (ص - ١٩).

(١٠) نفس المصدر (ص - ٢٠).

(١١) تحكيم القوانين (ص - ٢١).

وليس لله[١٢]!!! ولا من يصدر قانوناً يقضي بأن الرجل الثيب (الزاني) يعاقب بالحبس أو بالغرامة أو بإحدىٰ هاتين العقوبتين!! وإذا قيل له الحكم الشرعي فيه هو «الرجم» فيقول: هذه وحشية وظلم!!!! ثم يأتي بعد ذلك من يقول هذا ليس بالكفر الذي تذهبون إليه بل هذا «كفر دون كفر»!!؟؟

والآن يجب أن نطلع علىٰ أقوال أعلام المسلمين في قضية تحكيم شريعة الله:

١ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب حكم الله بما أنزل الله علىٰ رسوله فهو (كافرٌ)، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو (كافرٌ)، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلىٰ الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالىٰ، كسواليف البادية، وكأوامر الأمراء المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو (الكفر)، فإن كثيراً من الناس (أسلموا) ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم (كفار)»[١٣].

---

(١٢) يقول الله سبحانه: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ يوسف (آية ٤٠).

(١٣) منهاج السنة النبوية جـ ٥ (ص ـ ١٣٠).

٢ـ يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير قول الله سبحانه: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ «ينكر تعالىٰ علىٰ من خرج عن حكم الله تعالىٰ المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم «**الياسق**»، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتىٰ: من اليهودية والنصرانية **والملة الإسلامية** وغيرها، وفيها الكثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه علىٰ الحكم بالكتاب وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو (**كافرٌ**). . »[١٤].

ونكتفي بقول هذين العالمين من أعلام المسلمين في الحكم علىٰ من لم يحكم بشريعة الله.

ثم يعلق الكاتب هداه الله بالهامش علىٰ من يكفر الحكام جملة[١٥] فيقول: «وبعض هؤلاء يتلاعب بالألفاظ ويلبس علىٰ الناس قائلاً: هذا

---

(١٤) تفسير ابن كثير ص٦٤ الجزء الثاني ـ دار الجيل.

(١٥) لا يفهم أحداً أننا نرىٰ تكفير الحكام جملة، بل كل ما نريده هو توضيح الحكم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة في قضية تكفير الحاكم من وجهتها الصحيحة.

«استبدال» وليس مجرد حكمٍ بغير ما أنزل الله» وهذا تدليس باردٌ»[١٦]!!؟ **فإن تعجب فعجبٌ قولهم!!** وسأضطر لكي أكشف عن أحد هؤلاء المتلاعبين الباردين، الذين يدلسون علىٰ الناس، والذي يدعي أن كثيراً من حكام اليوم استبدلوا حكم الله بغيره من القوانين الوضعية **ألا وهو «المدلس البارد» العلامة أحمد شاكر رحمه الله!!؟** فهو يقول: «فانظروا أيها المسلمون في جميع البلاد الإسلامية أو البلاد التي تنتسب للإسلام، في أقطار الأرض، إلىٰ ما صنع بكم أعداؤكم المبشرون والمستعمرون: إذ ضربوا علىٰ المسلمين قوانين ضالة مدمّرة للأخلاق والآداب والأديان، قوانين إفرنجية وثنية، لم تبنىٰ علىٰ شريعة ولا دين.. هذه القوانين التي فرضها علىٰ المسلمين السافرو العداوة، هي في حقيقتها دين آخــر.. جعلوه ديناً للمسلمين «**بدلاً**» من دينهم النقي السامي»[١٧]!! فما أبرده من مدلس!!! وما زلنا مع الكاتب غفر الله له في فهمه السقيم لقضية التكفير فيقول: «ولكني أنبه علىٰ نقطة خطيرة يجر إليها مثل هذا التفكير[١٨]،.. إذ يلزم المكفر لحاكم ما «بحجة حكمه بغير ما أنزل الله: أن يكفر نائب هذا الحاكم، ووزيره.. وأن يكفر مستشاريه وأمراءه.. وأن يكفر أعوانه وأولياءه إذ يشتركون جميعاً بـ«الحكم بما أنزل الله فما الفرق علىٰ هذا بين الحاكم وبين بقية جوقته.. فلماذا تناقضون أنفسكم وتتلاعبون

---

(١٦) رؤية واقعية (ص ـ ٨٩) بالهامش.

(١٧) عمدة التفسير للعلامة أحمد شاكر (ص٢١٤).

(١٨) سبحان الله، حتىٰ مجرد التفكير ممنوع عند المؤلف!

بألفاظكم»[١٩]!! أقول والله إن الكلام السابق يحتاج إلىٰ **طبل ومزمار!!**
«أنه يلزم المكفر لحاكم أن يكفر **بقية جوقته**»؟! فسنجيبه بقول: **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله يكونون علىٰ وجهين أحدهما: **إن يعلموا** أنهم بدلوا دين الله، فتابعوهم علىٰ التبديل، **واعتقدوا** تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله إتباعاً لرؤسائهم، **مع علمهم** أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفرٌ. . وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين، **مع علمه** أنه خلاف الدين، **وأعتقد** ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله ﷺ مشركاً مثل هؤلاء»[٢٠] فلعل الكاتب يقول وما أدراك أنهم اعتقدوا ذلك فسأقول أنت الذي «**ألزمت**» ذلك فمن قال **إنه يلزم المكفر لحاكم (بالضرورة) أن يكفر بقية أعوانه!!** ومعنىٰ قول الكاتب هذا أيضاً أننا لن نستطيع أن **نكفر** أي حاكم نهائياً حتىٰ لو أعلنها جهاراً نهاراً جحوده لحكم الله ورسوله لأنه **يلزمنا ذلك أن نكفر نصف العاملين بالحكومة بل لعله كلهم!!!**؟ فلست أدري من أين جاء بهذا الفكر «**السلفي**» **العجيب!!**؟ ولعل هذا هو السر في تكفير معظم السلفيين «**لصدام حسين**» فعندما دخل الكويت أعلنوا تكفيرهم له **بعدما كانوا لا يرون ذلك**، ولم يتوقفوا عند هذا الحد، ولم يكفروا بقية جوقته فحسب بل **كفروا الجيش**

---

(١٩) رؤية واقعية (ص ـ ٩٠).
(٢٠) مجموع الفتاوي ج ٧ (ص ـ ٧٠).

العراقي كمّاً وكيفاً!! حتىٰ خشيت أن يكفروا الشعب العراقي كله!! ولكن الله سلم!؟ فهل هذا بسبب إلزام صاحبنا علىٰ تكفير «بقية جوقته»!؟ وبعد هذا نقول من إذن يكفر الناس، «الذي يكفر الحاكم الذي يرد حكم الله» أم «الذي يلزم المكفر لحاكم أن يكفر بقية جوقته»!! فمن الذي يفتح باباً لتكفير الأمة إذن!!؟؟

١٠ ـ ردود سريعة

ذكر الكاتب هداه الله من الأخطاء التي وقع فيها (هؤلاء الدعاة) هو تعظيم أنفسهم وأنهم يحبون المديح وما يدري أحدهم أن مادحه يذبحه إلىٰ غيرها من الكلمات، ونحن إذ نقف عند هذه القضية لا بد أن نوضح أننا لا ندافع عن زيد أو فلان من الناس ولكن الحق الذي نراه يضطرنا لأن نبين وجه الحق فيها وحتىٰ لا يختلط علىٰ الناس الأمر، خصوصاً ونحن نعلم أن المذكورين نحسبهم من أهل الصلاح والخير وليسوا من الذين يحبون المديح كما زُعِمَ. ولذا سأورد ما قاله الإمام النووي عن المديح في شرحه لصحيح مسلم حين قال: «ذكر مسلم في هذا الباب الأحاديث الواردة في النهي عن المدح، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول علىٰ المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو علىٰ من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، **وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطة للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحباً** والله أعلم»[1] ونحن نعتقد ونحسب أن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي الجزء (١٨) ص١٧٠.

الدعاة المذكورين يشملهم قول النووي في جواز مدحهم في الوجه لرجاحة عقولهم ولحثهم علىٰ الازدياد من الخير وعلىٰ القارىء أن يحكم في هذه القضية .

نذير وتحذير:

يحذر الكاتب هداه الله إخوانه وأصحابه من أن (هؤلاء الدعاة) المحدثين من المصائب التي سيجلبونها علىٰ الأمة فيقول: «وإني إذ أقول هذا وأكتبه «أي ما سبق» فإن الألم والله يعتصرني من هول ما هو قادم . . فهذا نذير وتحذير فاسمعوا وعوا»[٢] عجيب! ! ترىٰ الكاتب الفاضل يهول من الفاجعة والدمار الذي سيحدثه هؤلاء كأنه منذرٌ بقدوم جيش! ! فنسأل الكاتب الفاضل هل أنت أدرىٰ (بهؤلاء الدعاة) أم علماؤنا الأفاضل، والذي حاول أسلافك من قبل إثارتها فأسكتهم العلامة الشيخ بن باز بل ودافع عن دعوتهم وعملهم وقال: «هم من أهل السنة والجماعة[٣] المعروفين بمحاربة البدع والخرافات والوقوف في وجه الداعية إليها وكشف خططهم وألاعيبهم . . وهم الذين بذلوا وسعهم في توعية الناس وإرشادهم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم! ! واجتهدوا في تنظيم الدروس والمحاضرات! ! وتأليف الكتب النافعة! ؟»[٤] فهل يعرف العلامة الشيخ

---

(٢) رؤية واقعية (ص ـ ٣٥).

(٣) ولم يقل (من السلفيين)!

(٤) من بيان الشيخ بن باز الصادر بتاريخ (١٤١٢/٦/١٧هـ).

بن باز وغيره من العلماء من المصاب الذي سيصيبهم من هول ما هو قادم
أم أنه والعلماء لا يعلمون ما يدور بالواقع حولهم!!!؟

التوحيد بين المسلمين بالحكمة

يقول الله سبحانه: ﴿ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[٥] يأمر الله سبحانه في هذه الآية الدعاة إلىٰ الله بأن يتحلوا عند دعوتهم للناس بالحكمة وبالموعظة الحسنة، وأن يجادلوهم بالتي هي أحسن، والدعوة هنا بالطبع تشمل «الكافر والمسلم» فإذا كان الله يأمر بدعوة الكافر بالحسنىٰ والحكمة فمن باب أولىٰ أن تكون هذه الصفات الدعوية مع إخواننا المسلمين، ومن يرجع لكلام الكاتب حفظه الله في معرض نقده لـ(**هؤلاء الدعاة**) وغيرهم، فإنه لا يلمس من هذه الصفات شيئاً، فكان لزاماً عليه هدانا الله وإياه أن يتحلىٰ بصفات الداعية الناصح الأمين، وخصوصاً وهو يسعىٰ للتوحيد بين المسلمين، فليس من الحكمة في شيء أن نتخذ من الطعن والتشهير والتنقيص من عدالة الدعاة بحجة التقويم والإصلاح، فلم يكن هذا السبيل أبداً، **هو سبيل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم جميعاً**، فقد كانوا خير نموذج (لنا) في الدعوة والنصح، ولكن بالتي هي **أحسن**، وكيف لا وهم الذين تخرجوا من مدرسة محمدٍ ﷺ، فعلينا أن نتأسىٰ بهم في ذلك، ومن هنا **يظهر الاتباع الحقيقي للمنهج السلفي، وليس بالكلام فقط!**، ويقول الكاتب

---

(٥) سورة النحل (١٢٥).

حفظه الله: «إن آصرة الإخاء أول لبنة في بناء جماعة المسلمين، ونقضها أول معول لتفتيت جماعة المسلمين»[٦] وبما أن الكاتب عرف هذا فلماذا يستخدم «المعول» في الإصلاح والتقويم بدلاً من أن يستخدم «آصرة الإخاء»!

فكيف نريد الإصلاح وتوحيد كلمة المسلمين ونحن نستخدم المعاول لذلك فـ:

متىٰ يبلغ البنيـان يومـاً تمامـه   إذا كنت تبنيـه وغـيرك يهدم!!

فيجب علىٰ الداعية الذي يريد الإصلاح أن يستخدم «الحكمة» في إصلاحه ويختار الكلمة الطيبة فإن لها منفذاً عجيباً إلىٰ القلوب! ولهذا أمرنا الله سبحانه بالدعوة إليه بالكلمة الحسنىٰ والأسلوب الطيب ولم يجعلنا أوصياء علىٰ دينه نطعن بمن نشاء، ونشهر بمن نريد، فيجب علينا كدعاة أن نلين علىٰ إخواننا ونرفق بهم، وعلينا أن نعلم أيضاً أن أعداءنا ينتظرون هذا التفرق بيننا، بل ولماذا يوقعون بيننا ونحن عندنا القابلية الانسيابية لذلك، ثم نسأل الكاتب حفظه الله، كيف تريد التوحيد بين المسلمين، **وأنت تظن أن جميع الدعاة يسيرون علىٰ غير منهج أهل السنة، وتعتقد أنك وجماعتك فقط علىٰ الحق، فكيف ترجو من وراء إعتقادك هذا إصلاحاً؟!** وكيف تريد الإصلاح، وأنت لم تذكر حسنة واحدة لمن تنتقدهم وتنتقص منهم، فكيف تريد منهم أن يتقبلوا منك نصيحة إذن والله سبحانه

---

(٦) رؤية واقعية (ص ـ ٣٥).

يقـول: ﴿**لا يجرمنكم شنآن قومٍ علىٰ ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ**﴾[٧]. . أقول فليس من العدل أن تذكر السيئات وتدع الحسنات فهذا والله هو الجور والظلم، فرويداً رويداً علىٰ إخوانك، واعلم أنك منهم، وهم منك، وأنت تصلح وهم يكملون، وكلنا يتعاون في بناء الأمة، فليس من الحكمة أن نعطي مجالاً لأعدائنا كي يستغلوا تفرقنا، وكفاهم وهم يروننا ننهش لحوم بعضنا، وحال أمرنا كما يقول الشاعر:

وليس الـذئب يأكـل لحم ذئب ... ويـأكـل بعضنـا بعضـاً عيـانـا

فالتوحيد بين المسلمين أملنا، ولكن علىٰ أن يكون بالحكمة واللين والأسلوب الرزين والرفق، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه فأرجو أن يكون لكلامي هذا آذاناً صاغية وأن يتقبله الكاتب حفظه الله وجميع الدعاة الذي يسعون للإصلاح بإخلاص. . اللهم آمين.

---

(٧) المائدة (٨).

وأخيراً:

إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت

وبعد: إلىٰ متىٰ سيتمر بنا الحال علىٰ ما نحن عليه من التدابر والتشاحن والتنافر..؟ إلىٰ متىٰ سيظل يظن كل واحد منا أنه (الحق) وغيره علىٰ شفا جرف هار..!؟ إلىٰ متىٰ سنظل نغمض أعيننا عن الخير الموزع بيننا ولا ننظر إلا بعين واحدةٍ فلا نرىٰ إلا السلبيات؟.. إلىٰ متىٰ سيظل الطعن والتجريح فيما بيننا وسيلة بحجة الوصول للحق؟!.. ومتىٰ سنتحسس معنىٰ الأخوة الإسلامية التي هي أعظم رباط؟.. إلىٰ متىٰ سنظل ظالمي أنفسنا مجانبين طريق الحق؟!.. إلىٰ متىٰ سنظل نهدم بدل أن نصلح؟.. ومتىٰ نبتعد عن الحسد والكبر وغمط الناس.. ثم متىٰ سيكون مرجعنا عملاً لا قولاً للكتاب والسنة؟!.. فأقول للدعاة المسلمين والله لقد احتمل السيل زبداً رابياً!، أما آن للعمل الإسلامي أن يتجاوز هذه الخلافات التي مزقت شمل الأمة وزادت الغمة وأوسعت الململة.. أما آن للدعاة أن يعرفوا أن الخلاف لابد واقع.. كيف لا والعقول والأفهام متفاوتة بين الناس، وأن الاجتهاد وارد، فيجب ألا تضيق بها قلوب المخالفين، فيجب علىٰ من يتصدىٰ لإصلاح الأمة ويريد أن يوحد بينها بدافع الحرص، أن يعلم يقيناً أنه ليس علىٰ الحق وحده، ولكن الأمر فيه سعة، وبالطبع نحن

لا نقول هذا حتىٰ يتوهم بعضهم أننا نريد **الإصلاح العشوائي** بأن نوحد بين المخالفين من أهل البدع والضلال والمخالفين في الأصول كالصوفية ومن نحا نحوهم بحجة الإصلاح بل هذا توهمٌ غير موجود، بل والحمد لله نحن نظن بل ونعتقد أن الحركات الإسلامية في الغالب هي مندرجة تحت لواء أهل السنة والجماعة، ولكن نصيبها من ذلك يتفاوت، والناظر إلىٰ الخلافات المطروحة والتي ننفخ فيها، لا تعدوا أن تكون غالباً من الأمور التي فيها سعة، ولكن الجمود والتعصب يطغيان علينا، بل أجزم أن إصلاح كثير من الخلافات الموجودة من الممكن جدًّا أن تتم عن طريق الحوار والمناقشة التي يبتغىٰ من ورائها الوصول للحق فقط، ولن يحدث هذا إلا عندما يتهم كل طرف نفسه، **ويعطىٰ الأمر سعة ومرونة وأن نعرف أن كلنا يكمل بعضه بعضاً، وأن حركة واحدة فقط لا تستطيع أن تسير واحدها في سبيل إقامة الأمة**، وبعد تحقيق ذلك سترون كيف يكون الإصلاح، ثم لماذا لا يكون الخلاف الموجود في خضم الحركة الإسلامية خلاف تنوع وليس خلاف تضاد، وأن كل جماعة تقوم بما يسد ثغرة في جدار العمل الإسلامي؟ ويجب ألا نتناسىٰ أن عدونا من ورائنا يزرع الشقوق في صدر العمل الإسلامي ليوهنه، فعلينا أن لا نعطي الفرصة لأعدائنا لينفذوا إلىٰ قلب العمل الإسلامي ولا يكون ذلك إلا بالتنسيق الصحيح بيننا، ولا أنسىٰ أن أنصح أبناء الحركة الإسلامية بالحرص علىٰ **العلم الشرعي** فإننا محتاجون لتقوىٰ الله سبحانه للخروج من هذه المصائب فالله سبحانه وتعالىٰ يقول: **﴿ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً﴾** ولن يكون لنا مخرج وأنىٰ لنا ذلك إلا بتقوىٰ الله سبحانه ولن

تتحقق تقوىٰ الله إلا بالعلم فالعلم يورث تقوىٰ الله ومخافته سبحانه والحرص علىٰ مرضاته.

وإلىٰ هنا أرجو أن نكون قد عرفنا الخلل، ولذا يجب علينا سده، وصدقوني لن يكون لنا مخرجٌ من هذه الفتن إلا بهذا الطريق، ولن يكون أبداً باعتقاد كل واحدٍ منا أنه «القرآن والسنة»!!؟، بل كل واحدٍ منا عنده من الحق بقربه من (الكتاب والسنة) وبعده عنها، ولا بد أن أذكر أيضاً أن صاحب هذه الكلمات لا يريد إلا الإصلاح ما استطاع ولا يريد أن ينصر أحداً علىٰ أحد، بل يريد أن ينصر دينه بكل ما يملك، وقلبه يتفطر حزناً علىٰ ما يحدث، وأريد أن أقول لأصحاب هذه (الكتب) التي لا تزيد الأمة إلا خلافاً، أن يعلموا أنهم ليسوا وحدهم يكتبون ويتكلمون فليربأوا بأنفسهم عن السير في هذا الأسلوب المعوج والذي يبعد ولا يقرب ويفسد ولا يصلح ويجب أن نعلم أن الخير ما زال موجوداً في هذه الأمة والنصر قادم لمن يحقق أسبابه لا محالة ولكن رويداً!! «إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد». وأختم كلامي وأنا أقول: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

الفهـرس

تنبيه

انتهيت من تأليف هذا الكتاب في أواخر شهر مايو من العام الماضي ١٩٩٢ م ولأمور خارجة عن ارادتي لم يرى الكتاب النور إلا الآن.

ولذا وجب التنبيه.

المؤلــف

